النثر ومسألة الأسبقية والأفضلية عند القدماء

د. هيا الحوراني[☆]

إن الحديث عن النثر في الأدب العربي يرد عند كثير من الدارسين -قديماً- في إطار مقارنته بصنوه المتمثل في الشعر. وهي مقارنة تجعل منه، غالبا، جنساً أدبياً أدنى مرتبة من الشعر، أو أضعف تأثيراً، أو أقل حضوراً. وهذا ما تفصح عنه أقوال بعض القدامى: «قال السلامي: من فضائل النظم أن صار [لنا] صناعة برأسها، وتكلم الناس في قوافيها، وتوسعوا في تصاريفها وأعاريضها، وتصرفوا في بحورها... وما هكذا النثر، فإنه قصر عن هذه الذروة الشامخة، والقلة العالية...

☆ رئيسة التحرير المسؤولة.

وقال ابن نباتة: من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني [أن] العلماء والحكماء واللغويين يقولون: «قال الشاعر»؛ و«هذا كثير في الشعر»، و«الشعر قد أتى به»، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة، والشعر هو الحجة.

إن الشعر يفضل النثر لكونه أصبح صناعة لها قواعدها المتعارف عليها. كما أنه مصدر للاستشهاد والاحتجاج، فمنه يستقي العلماء والحكماء واللغويون حججهم وشواهدهم. وفي المقابل نجد مواقف أخرى تنتصر للنثر لكونه الأصل الذي يشرف على فرعه وهو الشعر، على الرغم من أن أصحابها يعترفون بأن لكل منهما محاسن ومساوئ؛ يقول أبو حيان التوحيدي: «وسمعت أبا عابد الكرخي صالح بن علي يقول: النثر أصل الكلام، والنظم فرعه؛ والأصل أشرف من الفرع، والفرع أنقص من الأصل؛ لكن لكل واحد منها زائنات وشائنات».

بيد أن مثل هذه المواقف والتصورات استحالت، في مراحل معينة من تاريخ الأدب العربي، إلى قناعات أدبية وفكرية يتعذر تغييرها أو تعديلها لما أصبح لها من مصداقية يشهد بها التاريخ والأدب نفسه؛ علما بأن التاريخ إذا منح السبق لظاهرة ما، فإن ذلك لا يعني أنه يسمو بها فنياً أو يؤثرها جمالياً.

يمكن القول، إذن، إن التنازع بين الشعر والنثر مر بمرحلتين هما: «المرحلة الأولى، اكتسبت طابع صراع وجودي بين الشعر والنثر، حيث دارت أهم المناقشات حول الأسبقية في الوجود (الأصل، الفرع) أو أهمية المصدر (العقل، القلب)». و«المرحلة الثانية، تميزت ببروز الوعي النقدي للجمع بين الشعر والنثر، في ظل مفهوم جديد هو ما اصطلح عليه لدى العسكري بالكتابة».

لهذا فإن النظر إلى الشعر والنثر باعتبارهما ثنائية يحكمها التضاد أو التنازع مسألة ما تزال تطرح بشكل مغلوط؛ إذ من المعلوم أن «قضية الشعر والنثر طرحت من زوايا متعددة؛ كالنظر للنثر باعتباره منافسا للشعر».

من هنا كان الموقف السليم، في نظرنا، يتمثل في معالجة قضية تنازع الشعر والنثر في إطارها الطبيعي وهو مسألة الأجناس الأدبية من حيث ظهور الأجناس وتطورها وتداخلها وتفاعلها واندثارها؛ خاصة و«أن الأنواع تعيش وتنمو...[و] في بعض الأحيان، يتفكك النوع الأدبي».

إن الأجناس والفنون الأدبية تنبثق، في سياق تاريخي محدد، من تراكم التجارب الإنسانية والفنية وتفاعل الأشخاص مع محيطهم لتستجيب لحاجات نفسية واجتماعية وفنية. ولهذا كانت «مصداقية النوع تستمد من وظيفته، التي تتجاوز في بعض الأحيان حدود الأدبي إلى ما هو تاريخي أو اجتماعي».

وبناء على هذا، فإن الحديث عن النثر في الأدب العربي يستوجب الالتزام بمجموعة من التحديدات حتى لا يظل حديثاً ملتبساً؛ علماً بأن هذه التحديدات تتعلق بالأجناس النثرية وما ارتبط بها من مفاهيم، وما تمخض عنها من أشكال وخصائص فنية، ومضامين متنوعة، وما طرأ عليها من تغييرات فرضتها سياقات التاريخ، أو ضرورات الفن، أو حاجات الإنسان.

ولهذا فإن الموقف السليم يتمثل في النظر إلى النثر باعتباره إضافة فنية نوعية لم تتبلور لتنافس الشعر، وإنما لتغني الأدب العربي، ولتفتح آفاقاً أخرى للتعبير، واتخاذ المواقف، والنظر إلى الأمور من زوايا أخرى.

ولكن رغم ما عرفه النثر من تطور وتحول شملا أنواعه وموضوعاته، فإنه ظل الجنس الأدبي الأقل حضوراً وتأثيراً في الإنسان والحياة العربيين. ولقد عالج القدامى هذه الظاهرة، وذهبوا في تفسيرها مذاهب، تحكمت فيها الميول والأهواء والمصالح أو القناعات والحقائق؛ يقول أبو القاسم الإشبيلي: «وإنما خصصت المنثور لأنه الأصل الذي أمن العلماء - لامتزاجه بطبائعهم - ذهاب اسمه فأغفلوه؛ وضمن الفصحاء - لغلبته على أذهانهم - بقاء رسمه فأهملوه، ولم يحكموا قوانينه، ولا حصروا أفانينه».

أما الآن فقد غلبت الكتابة النثرية على الشعر —مع احتفاظ الشعر بمكانته وروّاده ومتلقيه- فلا ننكر شيوع الرواية وغلبتها حتى باتت منافساً متصدراً للفنون والأجناس الأدبية يتبارى فيه الكُتّاب والأدباء يطرحون فيها قضايا متعددة ويجدون فيها مساحة أكبر للتعبير عن رؤاهم ووجهات نظرهم المجتمعية بأساليب فنية عالية المستوى، ويظهرون مهارات عالية في استخدام تقنيات الكتابة التي تزيد أعمالهم فنية وسهولة في التلقي.



صرخة في عباب الفوضى

أحمد الشلبي ☆

فِي قاعَةِ التاريخِ.. أجلِسُ
بينَ جُدرانٍ ينامُ على حوافِرِها الغُبار
أتأمَّلُ الآتي
أُدَنْدِنُ لحنَ أُغنيةٍ
تُبَعثِرُ في الثرى نفسي
أُلمُّ نثارَها..
تَتَزاحَمُ الأفكارُ في رأسي

☆ طالب جامعي، جامعة العلوم والتكنولوجيا.

فأصرُخُ صامتاً في وجهِ وجهي: مَن أنا؟!
في عالم الملكوتِ . . أخشعُ
باسِطاً كَفَيَّ
يا اللّهُ .. يا اللّه
أرفعُ للسَّماءِ بناظري
أستنجِدُ الربَّ العظيمَ
لعلَّني بهُداهُ أرشُدُ للطَّريق..
تتأرجحُ الدُّنيا بخطواتي
يُفَاجِئُني الهوى
ويكادُ يعصفُ بي
ومثلَ ملاءةٍ ملساء
يلتفُّ الظلامُ على فروعي
وأشعرُ أنّني في بَحْرِهِ
صوتٌ غريق
فأعودُ أدراجي
إلى سِفْرِ البِداية
حاملاً فَوْضايَ
صخراً فوقَ أكتافي
ومُنطفئَ البريق
في عصر يومي . . أنزوي
وألوذُ بالصمتِ البليغ
لعلَّني أسمو
هُنا تتثاوبُ الجدران في التحديقِ بي
فأُحِسُّ أنَّ طلاءها سيقولُ شيئاً
لا يمُتُّ إلى المكان
ولا الزمان
أنا ساكنٌ حتى البرودةِ
في يَدَيَّ وفي دمي. .
لا شيءَ يمكنُ وَصْفُهُ
قلبي يقلّبُني. .
على جمرِ الظنونِ
فتارةً ضِدِّي أكونُ
وتارةً أخرى تُضَلِّلُني الشُّكوكُ
فأكْتَوي بِلَظَى الحريق
وتَشُبُّ أسئلتي
. . لأعرِفَ مَن أنا
ها إنها النّيرانُ . . . تأكُلُني
تُقَشِّرُني
وَتَحْفِرُ ماءَ أوردَتي . .
لِتُطْفِئَها
فأصْرُخُ مَن أنا؟؟
عَلِّي أفيق.



مناجاة

أنمار محاسنة[☆]

لا زال في القلبِ من أنفاسِكم أثَرُ ... شوقٌ يفورُ بروحي وهي تحتضرُ

ولا يزالُ فؤادي مُضمِراً أملاً ... ولا أزالُ أنا ... في الرُّكنِ أنتظرُ

أرجو وصالكَ والآمالُ زاهقةٌ ... وليس لي فيكَ إلا الدَّمعُ والعِبَرُ

يا شهقةً من حنايا الرُّوح تفتك بي ... كأنَّها جَمرةٌ ... تَخبو وتَستَعِر

☆ طالب جامعي.

فكيف يا هاجري أحيا بلا ألمٍ ... ونارُ شَوقِكَ ... لا تُبقي ولا تَذَرُ!

أكُلَّما جَنَّ ليلٌ بِتُّ في قَلَقٍ ... من مُقلةٍ مَسَّها من زائرٍ سَهَرُ

فِداكَ يا زائري روحي وما ملكتْ ... خُذني إليكَ ملاكاً ... أيُّها القمرُ

خُذني إليك ... فلي ذكرى وبي ألمٌ ... وإنَّ قلبي على لُقياكَ ينفطرُ

تَهُزني كلَّ ليلٍ ألفُ عاصفةٍ ... من الحنين ... فلا أستطيعُ أصطبرُ!

أعيشُ دونكَ والأشواقُ تخنقني ... رفقاً بنفسيَ رفقاً ... إنني بشرُ!

أنعِمْ عليَّ بنسيانٍ أتوقُ لهُ ... أو جُدْ عليَّ وِصالاً أيُّها القَدَرُ

قُل لي بربِّكَ إن ضلَّتْ بصائرُنا ... عن السبيل .. فماذا ينفع البصرُ؟!

أين الأحبَّةُ من دنياي .. أين أنا ؟! ... يا ليتهم بَصَروا .. أو ليتهم صَبَروا

قضى الزمان علينا أن نُفارقهم ... وكم من الدمع في الأجفان يعتذرُ

وإنَّ خاتمةَ العُشَّاق واحدةٌ ... يموتُ فيها الهوى ... والشوقُ ينتحرُ!





تزكية للنيل

حسن بسام☆

ما بين أحلامنا العذراء والواقِعْ.. خيطٌ رفيعٌ، كذكر الله في الجامِعْ

وكلّما وجد العاصي بدايته صاح الإمامُ، فنام الوحي في الشارِعْ

وربّما عسكرَ الشيطانُ رتبتَهُ، فسال دمّي بنخب الفيلق السابِعْ

ودام عزّي على الأنقاض، واتّحدت خطوط عرضي برومانسيّة البائِعْ

كرمى لعينيك شريانٌ مقطّعةٌ أوتارهُ، يا نشيد المُطعِمِ الجائِعْ

كرمى لغصنك؛ لا يرتاح خنجرنا إلا عليه، يغنّي: «هيلا يا واسِعْ»

يخونك الخبز، والزيتون يرفده بالنار، والشاي أمسى سمّك الناقِعْ

وراح أهلوك يستجدي أشدّهم بخطّ بارليف، حيث النصر في الطابِعْ

☆ طالب دراسات عليا.

•••

وقيل: «يا مصر قومي»، وارفعي هرماً يبتزّ خوفو، ويملي النصّ للطالِعْ

مزاجه المسك، والثورات علّتُهُ، ومن وراء حجابٍ أيّها السامِعْ

وغبت عنهم فإذ بالعجل سيّدهم، وضلّ هارون، وهو العابد الضارِعْ

وشكّلت جثث القتلى بها هرماً، لو كنت أعلم ما ناديت بالرابعْ

•••

وقال لي كهف أفلاطون يشمت: -لو كنتَ الحكيم لما غادرت يا طامِعْ

وما دفعتَ سوى عربون ناقتها وما انجررت إلى موديلها اللامِعْ

إليك عنّي فلا أذني تطاوعني على السماع، ولا قلب الهدى الضائِعْ

أكلّما ناور المكتوبُ «شلّتنا» رحنا رشمنا السما بالأصفر الفاقِعْ؟

•••

هل بال «فلول» استعار المسّ حظوتنا لدى عزازيل؟ أم بالراهب الضالِعْ؟

وما على البائس العاديّ من شرك التشتيت؟ من زحمة الأستاذ والتابِعْ

وما على العقل لم يفهم دعابتَها وما على القلب بين الحبّ والوازِعْ

وما على الشعر يستمني الحشيش دماً، حتّى يروحن ما لا يبلغ الخاشِعْ

•••

إليك عنّي؛ فأرض الله واسعةٌ، لكن تضيق بنا من نورنا الساطِعْ!

وفهرس الحاضر اعتاد التخبّط في الما لا بداية، والعتبى على القانِعْ

فليحكم النيل في الناس التي رضعت من قلبه، وهو كنز الحكمة الشائِعْ

فليحكم النيل، لا مصرٌ سواه، فلا يمثّل الله، أو يستفوض الخانِعْ



قصائد مجرد كلام

حنان بديع☆

الخامسة بتوقيت غرينتش

كتب «أحبك» ... ونام

عجائب الدنيا سبع

وعجيبتنا ..

قبلة أخرى في فم الخصام

«أحبك» بالضمة والشدة

☆ شاعرة من الأردن.

زلزلت الأرض

من تحت المخدة

رجعت أيام ..

وتناثرت أحلام

الأرقام ..

هي ذاتها الأرقام

كل رقم في قلبي

حلم قام من تحت الركام

صار العمر ورائي

وعمري الآخر إلى الأمام

كلمة صغيرة ..

وأصبحت أميرة ..

وحولي الأقزام

من قال إن في الحب السلام !!

«أحبك»

«أحبك» مجرد كلام

قامت قيامة النهد

وطار في صدري حمام

مجرد كلام

ولدت من صلبي قصائد

وفي قلمي

تفجرت ألغام

«أحبك»

مجرد كلام

وللمرة الألف بعد الألف

صدقت الكلام

●●●

تمزح !!

إدعي ..

ما شئت أن تدعي ..

إفضح ..

ما شئت أن تفضح

إلعن .. أكذب

أغضب أو إفرح

قل إنك سيدي..

الذي يسمح ..

أو لا يسمح

قل إنك طير

يغرد خارج سربي

جرسا وحده ..

في مدائن الشعر يصدح

قل إنك..

ساحر ماكر..

كل صولات وجولات الحب

يربح

يا من يحتل أرض قصيدتي

ثم لاجئ..

إلى خيام النساء ينزح

قل..

ما شاء الهوى أن تقول ..

لا تفسر ..

أو تشرح

بل قل إنك فرصي الضائعة

حين الفرصة تسنح

مثل عرضك السخيف

لا فرق بين مهرج يلهو

أو حبيب يتبجح

xxxx

قل إنك صرح غرامي

بغرور الهوى يترنح

قل ما شئت

وكن ما شئت

كن إناء ..

بكل ما فيه يا حبي ينضح

كن واثقا..

كن عاشقا ..

لكن.. لا

لا تقل أبدا (أحبك)

كم تضحكني ..

كم تضحكني ..

حين تمزح !!

●●●

لهواك عائدة !

حاولت أن أكسر

في حبك

القاعدة

أن أحرك..

في بئرك المياه

الراكدة ..

حاولت أن أبقى ..

على جريمة وصلك

شاهدة

حاولت أن أعيد

للتاريخ عصوره

البائدة

وللغابات حرائقها

الباردة

حاولت..

أن أروج لإشاعتنا

الفاسدة ..

بأنك حتما عائد..

وبأني لهواك عائدة!



حاولت ..

حاولت أن أطارد

غزلان الوقت الشاردة

أن أصنع من خبزك اليابس

أشهى مائدة

أن أدغدغ

جمرة حبنا الخامدة

حاولت ..

حاولت أن أزرع في عقلك

فكرتي

وفي حقلك

زهرتي الخالدة

حاولت ..

وكم حاولت ..

أن أبقى ..

على كذبة حبك صامدة

ولم أكن سوى..

عاشقة حمقاء

عاشقة ..

لعقلها فاقدة!



حلم في ظلال القدس

رنا الدراغمة☆

بَدَأَتُ قَصِيدِي بِوَصْفِ حَبِيبِي ... فَصِفْ مَنْ تُحِبُّ بِوَصْفٍ جَمِيل

وَهَذا حَبِيبِي يُنِيرُ طَرِيقاً ... يكُونُ لِعَيْنِي كَنَجْمٍ دَلِيل

فَأَغْفُو وَيأْتِي وَيَنْظُرُ حَالِي ... وَيُؤْنِسُ رُوعِي بِلَيْلِي الطَوِيل

وَيَنْسُجُ حُلْماً لِطِفْلٍ تَمَنَّى ... حُلُولَ السَّلامِ وَمَا مِنْ بَدِيل

وَعَوْدَةَ قُدْسٍ لأَتْلُو صَلاتِي ... فَذَاكَ دَوَاءٌ لِقَلْبِي العَلِيل

☆ طالبة جامعية.

سَنَبْقَى نُقَاتِلُ دَوْماً لِقُدسٍ

وَحَيْثُ الْتَفَتُّ عُيُوني تَراها

وَتَصْحُو فَتَلْقَى الحَبِيبَ شَهيدا

وثُمَّ تَثُورُ لِتُحْيي حبيبي

فَتَسْكُنُ رُوحُهُ جِسْماً عتيدا

وَتَبْقَى تُقَاتِلُ كُلَّ عَدُوٍ

لِيُبْصِرَ دَوْماً حَبِيباً جديدا

فَهَذا شَهِيدٌ وَلَيْسَ يموتُ

سَيَعْرِفُ دَوْماً مَعْنَى الخلودِ

عَدوٌّي سَيَعْلَمُ حَقّاً يُبينُ

بَأنَّهُ مَيْتٌ وَلَوْ بَعْدَ حينِ

أَنَا صَاحِبُ الحقِّ

دوماً

وعَينُ اليَقين!





قطر الندى

طارق الدراغمة*

بَيْنَ الدَيَاجي أسْتزيد هُيَاما ... هوساً ببدرٍ قد أنارَ ظَلاما

أحببتهُ مُنْذُ الطُفولَةِ مَرْمَراً ... ضَرَمَ الخَفُوقَ المُسْتَقِيل غَراما

فبكلِّ ما قرَّتْ عُيونٌ عِشْقَهُ ... رامَ العَبيرُ العِشْق والإلهاما

فَإلَى مَتَى أبْقَى أسيرَ سِمَاتِها ... وإلَى مَتَى يَذْوي الخَفُوقُ سُقَاما

وَبَدَأْت أبْحَثُ وَصْفَهَا بِقَصِيدَةَ ... فأرى القصيدَ بِوَصْفِهَا قَدْ هاما

فبوصفها تَحْلُو القَوافي نَرْجِساً ... وَعَلَى ضِفَافِ عُيُونِهَا تَترامى

---

* شاعر من الأردن.

وبوجهها الوضاح حسن أميرة يَغْدُو عَلَى عَرْشِ الجَمَال إماما

كل الذي ملكته كفيّ أحرفي لَمْلَمْتُها دُسْتُورَ عِشْقٍ داما

في الحب أسلوب لمن طلب الهوى ومحبَّتي عشقٌ يُصاغُ كَلاما

لولاك سامية الثنايا داخلي ما كنتُ أطلقت الحروف سِهَاما

جعلت خفوقاً صد عن نظم الهوى في نظمِ أبيات القصيدِ هُمَاما

آقسمت إنك قطرة فيها الندى قد فاحَ شعراً يطربُ الأقواما

آقسمت آنك عنفوان للهوى فيك القصيدُ أخطُّهُ أيَّاما

أقسمت أنك أرض عز للحمى بخضمِّها بات المحبُّ حُسَاما

أنثى ولا كل النساء أنوثة وجَمَالُهَا بين النجوم تَسَامى





قردة الحقيقة

محمد ديريه ☆

عاد من سفر طويل

استعداداً لسفر أطول

فاستراح في البيت / المحطة!

عادت الغجرية لتبيع ذات الخردة

بقيمة مضاعفة..

لابد أنها قد صادفت غيمةً

في طريق العودة

☆ طالب دراسات عليا.

الطويل
!
المئذنة: سارية لعلم الآذان..
انتصاب دائم
ابتهال بمقام الحجاز
صوت أم لراحل
دعوة مظلوم
وسهم أخطأ قافلة
السحاب
الضيف الذي عبر
البارحة
استحال – مديحاً –
رحل
من أيقظ جرس الكنيسة ؟
ولماذا لا يكمل الديك حلمه الأخير ؟
وجه الغريب:
علامة استفهام
تجوب المدينة
سائق حافلة المدرسة:
وحده من يراقب تطور المدينة
من مرآته الخلفية
من يتم ما نقص من
صلاة المسافر؟
تعب الطريق
الشقق المفروشة:
مطارات بلا مكبرات الصوت
منفضة لخطايا العابرين

كيف يهتدي البقال إلى
حجم الدفتر المناسب
لديون الجيران؟
الوطن: جملة فعلية
الخطاط: إلى متى يضاجع الحروف؟
الأرق: آخر أفكار الليل
تقتات من عينيك
الخريف: اختبار غير دقيق
لسرعة الرياح
القابلة: إسعاف القرية
السريع
معصرة الزيتون:
لماذا تتجاهل محاسن
التين؟
لم تعد أعواد الكبريت تصطف
بهدوء لمغازلة التبغ..
هذه مدن مليئة بالكراهية..
من يعبيء غازاً
ليشعل سيجاره
العرج: تشويش متعمد
لإيقاع الطريق
المدن الحبيسة..
نساء أعجميات
جوز الهند: أقدم باروكة سوداء
لصلعة بيضاء
حموضة الليمون: قراءة أولى
في

ورقة الطلاق

البحة:

صوت خديج

شنطة الظهر ..

أعمال مؤجلة

صحن الملوخية ..

إشاعة خضراء

كيف تسافر شنطة السفر

كل تلك المسافة

دون محرم؟

كيف نجى المخلل من

تحريم النبيذ ؟

من لم يخبر حبة الكمثرى

أنها.. طفولة نهد؟

السماد: زكاة الماشية للأرض اليباب

حين يحول المطر

كيف تنام قشرة الموز

على رائحة البوتاسيوم كل ليله ؟

نشاز في ذات النوتة..

من يجبر الورقة ألا تطرب

فيميل اللحن ؟

عندما لم تمطر

كتب

يهادن الجراد

الجزار: موزع مرض الملوك

باقتدار

ترك ثمالة القهوة

سمع قارئة الفنجان

في أول حافلة

باتجاه قلبها

كنت الأسمر الوحيد

في الصف الطويل

هل أرسلها الرب لتقف خلفي

كعلامة تعجب

ممحل

كباب لم يطرقه ضيف

ولا بريد من حبيب

عندما أوصل الجميع إلى

محطاتهم ..

نسي طريق العودة بهدوء

الكذب: سلك عار بين

اثنين

الطفل الأول..

قصيدة نثر

دكان الفاكهاني:

استدعاء جميع الفصول

بصوت النقود

الأنانية: نية الأنا

الدائمة

ماذا يبقى للفيل

بعد أن يدفن عاجه

سنة التقاعد..

غير خرطوم يصله بحزن

الذكريات ؟

لقد كان دوياً مسموعاً

حتى

أبصرنا الجثة

في أول قبلة شوق

مشت المسافة

مرتين

أصلح الإسكافي كل

الأحذية..

وحدها فردة الحقيقة

مشت إليه

حافية

كاللغة الأولى

عندما أحب

سأتحدثك





سلام إلى أمي

محمد كمال ☆

مِنّي السلامُ،

وليس يُسْعفني الكلامُ:

فكل حرفٍ،

كل معنىً،

لا يطول لِكَيْ يصلْ.

لكنّ

☆ شاعر من الأردن.

أُدَنْدِنُ حولَ حَوْلِكِ
فاقبلي منّي السلامْ.

منّي السلامُ
إلى التي
نُسِجَتْ من الحبِّ البريءِ
الواثقِ الممزوجِ
بالصدقِ الملوّنِ بالحنانْ.

وكذا السلامُ
إلى التي من دونها،
لا دفءَ في روحي
وروحِ معاطفي،
لا صبْحَ أشربُهُ بِبُنِّ قصائدي،
لا نورَ في قلبي
ولا في الدار،

لك يا حبيبةُ،
يا أعزَّ حبيبة،
أهدي سلامًا دافئًا،
عذبًا كريمًا صادقًا،
أمّاهُ، عليّ
أنْ أقبّلَ وَجْنتَي
قدميكِ عند لقائنا
في جنّةِ الرحمنْ.

لكِ يا انبثاقَ الفجرِ
يا زيتونَ أرضي
يا ربيعَ مشاتلي،
يا سرَّ روحي
يا وضوح سرائري
ألف ابتهالٍ وابتهالٍ
من قِبابيَ للسماءِ،
وأنت قبّعةُ المساء،
وسائرٌ بعْدُ ابتهاليَ
صَوْبَ من خلق الفضاءَ
وصوَّر الأشياءَ
كيفَ يشاءْ.

سبحانَ مَنْ سَوّاك،
مَنْ حَلاّك،
مَنْ أعطاكِ معنىً،
كل معنىً، ليس يعرفه
سِواكِ،
وليس يعرفُ مَنْ سِواك.
سبحان من سَوّاك
للمةَ الجراحِ وبُرْئِها،
وقضى بحبِكِ،
كيفَ لا!
ولأنت أغنية الصباحِ،
تُرَقّصُ الأزهارَ والأطيارْ،
وتُطَوِّفُ الأملَ السعيدَ كواكبًا،

تتلو ترانيمَ المحبةِ
في الطّوافِ،
وما السماءُ سوى،
مرآةُ صِدْقٍ أنتِ شمسٌ صُوِّرَتْ فيها،
منكِ الضياءُ،
وما الكواكبُ في العُلا،
إلا مرايا وجهِكِ الزّاكي
المُزَكّى في الكتابِ.
يا قُدْسَ أقداسِ
المسيرِ إلى الشموخِ،
ورَفْرَفاتِ جناحِ أطْيارِ
التّبَتّلِ في السّحرْ.
تسْتَعْبرينَ البُسْطَ تحتَكِ
تحتَ أقدامٍ طُهُرْ،
وتكاد تنطقُ،
غيرَ أنّ كلامَها
المعراجُ فيكِ إلى الخلودْ،
ويبوح وجهك يا حبيبةُ
عند صَمْتِيَ بالسّكينةِ والصّمودْ،
مِنْ بعد ذلكَ،
تكْسرينَ ببسمةٍ عُلْويةٍ،
صمتَ الجلالِ،
وحدَّةً في ذا الوقارْ.

أمّاهُ هل أنساكِ يومَ حَمَلْتِي،
ألْفَاً، على كَتِفَيْكِ نحْوَ عيادةٍ،
وتسابقينَ الموتَ موتِيَ،
صَوْبَ مشفىً،
قد تعوّدَ خَطْفَ أرواحِ الملائكِ،
لاترَيْنَ سوى ملاكَكِ في المَدى،
فتقبِّلينَ وتُسْرعينْ.
أمّاهُ هل أنسى انتصابَكِ قِمّةً،
عند السرير تمرِّضينَ الوردَ،
وردَكِ، كَيْ ينامَ وتَسْهرينْ.

لستُ الذي ينسى انتباهَكِ
من منامِكِ،
تفزعينَ ولا يُهِمُّكِ ما أصابَكِ،
غيرَ أنّكِ تبسمينَ؛
ليرتويَ ظمئي،
ويصمتَ صوتُ خوفي
عندما تَتَنَبَّهينْ.

أمّاهُ لن أنسى ارتماءكِ
فوْقَ هاماتِ البلاطِ،
فوَيْقَ بطانيةٍ،
أو دونَ بطانيةٍ،
وأنا المُمَدَّدُ،
ويحَ قلبيَ في السريرِ،
ولا حِراكَ لكي أراكِ،
فتقرئينَ عليَّ آياتٍ من القرآنِ؛
كي أقوى على ضعْفي،

وتدعينَ الإلهَ وتَصْبرينْ.

لا لستُ أنسى
أنك الجوف القَضَيْتُ به شموعاً تسعةً،
وخرجتُ أبحثُ عن حنانٍ،
لم أجِدْ،
إلا الحنانَ بحِضْنِ صدْرٍ،
لا يزال أنيسَ أحزاني
إلى الأبد المؤبَّدِ في السِّنينْ.

فلتقبليني خيطَ حبٍّ،
في وشاحٍ،
قد أحاط جلالَ وجهِك
واستدارَ على بهائِكْ.
يا نونَ نغمةِ شمعةٍ
كسرت ظلاماً من حديدْ.
يا واوَ وعْدِ الله أنتِ
وما سِواك هو الوعيدْ.
يا فاء فوزي بالرضا عنّي؛
فألبسَ حُلَّةَ الفوزِ السّعيدْ.
والهاء آخرُ كِلْمَةٍ
هاتي يمينَكِ؛
كي أُقبِّلَها وأسقيَها سلامي
من دمائي في دمائِكِ
في الوريدْ.



كلمات

منال عمر☆

علمني كيف أنساك

وأن أغفو دونك

وأن أبحر بعيداً عنك

وعن عينيك

☆ مصممة جرافيك.

وأن...

ألقـــــــاك

علمني أن أهواك

أكثر

وأن يزداد شوقي وحنيني

وأن،

ازداد جنوناً

وأن،

يتفجر عشقي

وأن أغفو سريعاً بين يديك

إذ...

تلقاك روحي

علمني أسطورة عشقك

وبداية عشقك

كي تسكن روحي

وتصلي

وترتل في محرابك

علمني

كيف أصنع أملاً لنفسي

بأن ألقاك

حتـــى

في بعدك عني



عتبات

وردة الكتوت☆

تجاذبني الهوى دمعا وبسما

فأذكى مهجة وأذاب جسما

وعرّفني الملامة فيه سُمّا

وعرّفني الصبابة ليس أسمى

وطوّف بي.. فذقت الحبَّ نُعمى

لأشقى بعدُ أطلالا ورسما

•••

☆ شاعرة من الأردن.

عناد الشعر أحيا لي رفاتي
وإن العند من أبهى صفاتي
به و الحبٌّ قد رُسمت وفاتي
فشأ يا ربُّ ما قد ظَنّ وهما

●●●

تبدّلت المسرّةُ فيك حزنا
وصفو سمائكم قد بات مزنا
تقطّع بينُنا فأعدْ وصالي
فخذ بيديّ قل لي هاكِ جزنا
إلى برّ الهوى أمنا وسلما

●●●

فإني بتُّ مشتاقا لروحي
أفتّش عن رماد وسط ريحِ
أخادعني بما يشفي قروحي
وأنّ القلب في خير وروحِ
فتبصر مهجتي والعين تعمى

●●●

وألوانٍ تصون القلب طفلا
وأحلام جعلتُ العمر كفلا
دع الولهان يأنس في شقاه
يرى الأشواك في الطرقات دُفلى
وسر الأمر أن السهم أصمى

●●●

أضعتُ الدرب ثَمّ أضعتُ رفقه
وحيدًا شاردًا أبقيت خفقه
طرقتُ بها على استحياء طرقه
أنا بالباب منتظرًا «هلمّا»

●●●

بضاعة عذرنا مزجاةٌ جردا
فأوفِ الكيل بات القلب وِردا
وعاقب مذنبًا قد جاء حردا
بغير البعد.. إنّ البعد أدمى

●●●

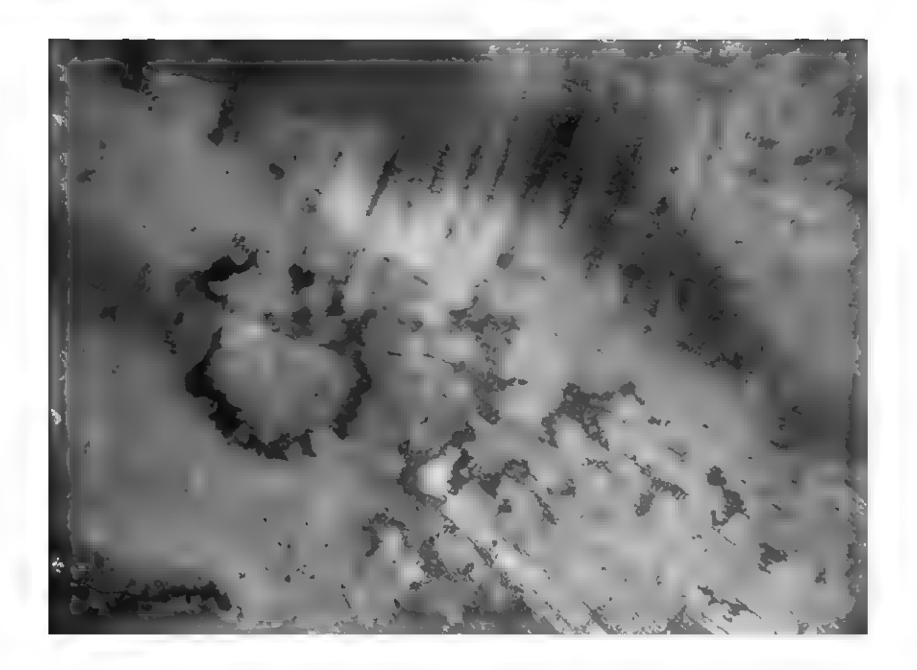
أناشد بعد زمزمكم أجاجا
وأرجو بعد وهّاج سراجا
فمن خسر الأسود رجا نعاجا
وإن قليلكم أحيا وأنما

●●●

أوضئ خافقي إما أمرٌّ
بأعتابٍ لكم فيبين سرٌّ
ويقشع ظلمتي صبح أغرٌّ
نذرتُ العمر إلا عنك صوما

●●●

سألتك بالجميل وبالبداية
سألت الوصل ختما للحكاية
فإنّ الوصل غايةُ كلّ غاية
وظنّي فيك أنّ السّؤل تمّا



كوّة في الجدار

سيما الشلبي ☆

استيقظتُ من غيبوبتي، وبدأتُ أعودُ إلى وعيي، وعندما امتلكتُهُ أخيراً وجدتُ أنني لا أرى شيئاً، نعم.. ظلامٌ دامس لم أتبيَّنْ فيه ملامحَ أحدٍ ممن كانوا حولي.

☆ قاصة من الأردن.

لست أذكرُ كيف كانت بداياتي مع الرسم، فالرسم كان حياتي منذ وَعَيتُ على ذاتي وأصبحتُ أُدركُ الأشياءَ وأُميِّزُها. تقولُ أمي إنني كنتُ أُلوِّن لها جدرانَ البيت منذُ كنتُ في الثانية من عمري، فتُضطرُّ إلى طِلاءِ الجدران كلَّ صيف، وحتى كلّ عملية طلاءٍ للجدران كنتُ أُشاركُ فيها بحيويَّةٍ وانفعال فتكون النتيجة المزيد من العناء لأُمي في تنظيف الأرضيات والملابس! ذلك قبل أن أُصبحَ مفيداً وأُساعد في أعمال المنزل بالفعل.

المهمُّ أنني تحوَّلتُ منذُ صِبايَ إلى رَسَّامٍ حقيقي، أُنافس في مسابقات الرسم المدرسيَّة وسواها، وأفوزُ غالباً، ولمَّا أصبحتُ في الجامعة، كانت دُرَّتي النفيسة هي موهبتي الفنيَّة، فلم أُواجه مصاعبَ من ذلك النوع الذي يُلاقيه الشباب في سعيهم لإثبات وجودهم، فقد كنتُ رَسَّامَ الجامعة بلا مُنازع، وكانوا ينادونني بلقب الفنان. وحين كنت أرى نظرات التقدير لفنّي وأسمعُ تعابير الإعجاب بلوحاتي ومعارضي كانت نفسي تمتلئُ رضا واكتفاء. الرسمُ كان جوازَ سَفَري إلى العالم أجمع، فقد كنتُ مُثابراً في تطويرِ إمكاناتي وقدراتي مما جعلَ لي أسلوبي الخاص الذي مَنَحَني تأشيرةَ مرور إلى معارضَ دولية ومشاركات عالمية كثيرة.

أما كيف تمَّ اختياري للمساهمة في تنفيذ تلك الجدارية في ميدانِ الحُريَّة وسط المدينة مع فنانين عظماء ذوي أسماء راسخة في عالم الفن، فلستُ أعرفُ شيئاً عن تفاصيلِ ذلك القرار، إلا أنَّهُ بالنسبة لي كان تجسيداً لحلمٍ طالما راودَ مخيِّلتي، بل كان بالفعل أجمل ما حدث لي في حياتي.

كنتُ مُنهَمِكاً في الدرس والتحليل لأجعلَ بصمتي الفريدة بارزةً بينَ أعمال هؤلاء الفنانين الكبار، فقد كان التحدي جَدِّيّاً ومُحفِّزاً ويحتاجُ الكثيرَ من الجهد والدأب، ومع حرصي على تكامُل العمل والاندغام في أجوائه، كنتُ أرفضُ الذوبانَ في أساليبِ الفنانين الآخرين مَهما بلغ تقديري وانبهاري بفنِّهم.

لم أكن أدري ما يخبِّئه ليَ القدَر، ذلك التحوّل العاصف في حياتي حدثَ عندما كنا نوشِكُ على البدء في التنفيذ بعد عدَّةِ لقاءات تدارُسية بحثنا فيها أموراً فنيَّة هامة. وخَطَّطنا لدَورِ ومساحةِ كلٍّ منَّا في موضوع الجدارية.

كنت عائداً من الاجتماع التحضيري الأخير عندما تعرّضتُ لحادث سيرٍ أفقدني وعيي وأدخلني عالماً من ضَباب. كنت أصحو من وقت لآخر لأدرك بصعوبة أنني ما زلت في المشفى، أسمع أصواتاً حولي، أميّز بعضَها. فهذه أمي تسأل بأسى وحسرة: إذن لن يرى بعد الآن؟؟ يجيبها صوت لا أعرفه: يؤسفني

إخبارُكِ أنَّ انفصال العصب البصري كان تاماً، لا أمل.

استيقظتُ أخيراً من حالة المراوحة الضبابية، واستَعَدْتُ وعيي، ولكنني.. كنت لا أرى شيئاً، ما حولي جدارٌ من العتمة، جدارٌ سميك. الجميعُ حولي كانوا مُشفقين ينطقون بعبارات المواساة والتعاطُف. كنتُ أسمعهم يتهامسون: لن يستطيعَ الرسم بعد الآن. كيف سيعيش والرسم كلُّ حياته؟؟ انتابتني حالة من الذهول في البداية ، تحوَّلَتْ تدريجياً إلى حالةٍ من الاكتئاب والحزن.

لا أمل. ظلَّت العبارة تتردَّدُ في أذني وتدور في رأسي طوال تلك الأيام الحالكة. ولم تفلح محاولات عائلتي في إخراجي مما أُعانيه. كانت خسارتي جَسيمة وتعويضها يكاد يكونُ مستحيلاً.

بقيت معاناتي جاثمةً فوق صدري طوال إقامتي في المشفى لا تُغادرني ولا أبرحها إلى أن تخلَّلني شُعاعٌ من النور،كان ذلك حين أُعلِمتُ أنَّ البدء بتنفيذ الجدارية تمَّ تأجيله تضامناً معي وتقديراً لما أنا فيه. طلبْتُ من أمي التي واظَبَتْ على ملازمتي أن تحضرَ ورقة وقَلَماً، فاستجابت رغم استغرابها، وأمليْتُ عليها فيض مشاعري: كلمات راحت تنساب من بين شفاهي لتُشكِّلَ قصيدتي الأولى (كُوَّةٌ في جدار العتمة).

عُدْتُ إلى البيت، كنتُ فاقداً البصرَ تماماً، ومليئاً بالإرادة والتحدي بعد أن أدركتُ نِعمةَ الحياة، فأنا مَن شارفَ على الموت ومُنِحَ فرصةً أخرى. حين عَرَضتُ على صديقي الشاعر قصيدتي الأولى، وصفها بأنها لوحةٌ حقيقية ضاجَّةٌ بالحياة والحركة ولا يعوز صوَرها النابضةَ جمال اللون، وبعدها توالت قصائدي، وهكذا بدأتُ الرسمَ بالكلمات.

تسألون عن الجدارية. اذهبوا وشاهدوها، إنها عملٌ فريد، قصائدي هي سُدَاة التكامل بين اللون والكلمة والصورة وأساليب الفنانين المختلفة. حقاً لقد أبدعَ هؤلاء الفنانون الرائعون، أما عنوانُها فقد كان (دائماً هناك أمل).





زر المعطف الأسود

عثمان مشاورة☆

بدأ أبي في الفترة الأخيرة، يبدي نزوات غريبة بعض الشيء، إلى أن تعرّض أخيراً إلى مرض عصبيّ مُريب. كان يتشنج فجأة، تتصلب أصابعه، ويُصبح شجرة عُلّيق جافة. وكانت حالته تسوء رغم الزيارات المتكررة للأطباء. كنتُ ابنته الصغيرة المُدللة. الله وحده يعلم بذلك الدلال. ففي أيام الشتاء الباردة، كنا نتحلّق حول المدفأة، وكأي قطة صغيرة، أدفعُ الأشياء برجلي الصغيرتين، لأنكمش بداخل معطفه الأسود، أختبئ به وعيناي مفتوحتان في العتمة دون أي خوف.

☆ طالب جامعي.

تغير أبي يوما بعد يوم بشكلٍ مضطرد، لدرجة أن أمي أصبحت تنام في الصالة كل ليلة. كنتُ أرى عينيها، تطفحان بالدموع. وأسمع أحيانا، بكاءها تحت الغِطاء.

في إحدى المرات، منتصف الليل، دخل إلى المطبخ، تناول الكؤوس والأطباق الزجاجية، وخبطها واحدة تلو الأُخرى فوق البلاط، وكان يُزمجر من جوفه فقط دون أن يفتح فمه. كما لو كان حيواناً يئنّ وعلى فمه لجام. ركضت أُمي مفزوعة، وقفت وهي تصرخ، أخذت تعصر يديها وترقرقت عيناها وهي تنظر إلى شظايا الزجاج والبورسلان فوق الأرض. اختبأتُ خلفها وتطلّعتُ. صمتَ قليلا ينظر إلينا ثم مشى إلى فراشه ونام، كشرنقة.

بعد ثلاثة أيام، قام بنفس الشيء في المطبخ، وفي سكون الليل أيضاً لم ينم، فقد أمضى الليل يكسر كل شيء يقع تحت يديه، وبعد ذلك أصبح أخي الأكبر وأمي يُغلقان باب المطبخ بالمفتاح، ويضعان قنينة ماء عند رأسه إن احتاج ليشرب.

ازدادت حالة أبي سوءاً، لذلك استعانا أخي وأمي بممرضة شابة، حقنته بمهدئٍ قوي، ووضعوه بعد ذلك في غرفة خارجية، أصبح كيساً ثقيلاً فقط، ثم فعلوا فعلتهم، قسموا الغرفة إلى نصفين، نصف للأشياء القديمة والخردة، وآخر له، بعد أن ثبتوا وتداً في الأرض لربط السلسلة فيه.

كانت النافذة الصغيرة الخلفية، مُرتفعة جداً عني. لذلك كنتُ أنظر من ثقبٍ بحجم رأس الإصبع، في الباب الصدئ المُهترئ. كنتُ أرى قدمه في بعض المرات، متسخة وممدودة، أو طرف معطفه الأسود العتيق، المعطف الذي كنت أختبئ به لصق المدفأة في الشتاء قبل سنتين. آخر مرةٍ نظرتُ فيها، كانت هناك عين مُحمرة في الجانب الآخر من الثقب تنظر إلي.

بعد ذلك بفترة، جاءت الكارثة. لم يكن غيري في البيت. كانت أمي في المطبخ، تُعد الطعام، قالتْ:

- لم يأكل منذ الأمس، خذي هذا الصحن إليه.

تلكأتُ وجفّ فمي. أضافت أمي:

- لا تخافي. مربوط.

لأول مرة أدخل إليه. لم أرَ قدما متسخة وممدودة فقط، رأيته بكامل هيئته. متكوّماً على نفسه في الرُّكن، متدثراً بمعطفه الأسود. ظلَّ يُحدق بي، وضعتُ الطبق وخرجتُ راكضة بسرعة.

مرّت سنتان تقريباً على هذا الحال، لم يبقَ في عيني دموع، وحالة أبي تسوء أكثر. واستطالت قامتي بعض الشيء، أصبحتُ في التاسعة من عمري. وغدا بإمكاني أن

أضع طوبةً وأقف على رؤوس أصابعي فوقها، وأتطلع من النافذة العلوية الصغيرة في الجهة الخلفية للغرفة القديمة.

الأطفال في الحارة يهمسون أن أبي مُقيّد في مكان ما. أحدهم قال لي متسائلا:

– أليس لديكم وحش، في الغرفة الخلفية. شعره طويل؟

وهرب، حاولت اللحاق به لكني تعثّرت وبكيت فوق التراب. مرّة رأيتهم في الخلف، يقفون فوق ظهور بعضهم البعض. يُحاولون النظر من النافذة. رميتهم بالحجارة، وذهبت لأمي وأنا أبكي أيضا.

في إحدى نوبات إحضار الطعام له. مددت يدي لأضع الصحن أمامه وأركض. قلت له بلطف: «غداؤك، أبي». لكن شيئا انقضَّ عليّ، أمسك بمعصمي وسحبني إليه بقوة، جرّني وهو يزبد، كما لو كان يجرُّ خروفاً صغيراً للذبح، يجره من صوفه فقط، والخروف يُفرمل بحوافره في التراب. صرختُ لكنه ارتبك وأغلق فمي بيده العظْميّة الكبيرة، غُصن العُلّيق الجاف، أطبق على وجهي الصغير، ذقتُ طعم الصدأ في السلسة الحديدية، رطب ومالح في فمي.

كان وجهه ضخماً مشعراً، وعيناه مثل عيني ضفدع. بعد أن ألجمني بيده، لم أحاول فعل أي شيء، كان عملاقاً، ضفدعاً عملاقاً. كانت أسماله وثيابه المُمزقة ترفرف من حولي. أمسكني بيديه كأنني قطة، كوّمني في حجره. لفّني بمعطفه الأسود المُهترئ. شممت رائحة نتنة. ارتدّت معدتي إلى حلقي. أبعد يده عن فمي بعد أن سكنتُ. داعب شعري وهو يبتسم وأسنانه الصفراء المخضرة، الكبيرة والمنخورة في وجهي، تماما. قبّلني بلعابه على خدي. انحدرت دموعي. وكنت أشهق، لم أشأ أن أصرخ لكي لا يضع يده مرة أُخرى على فمي.

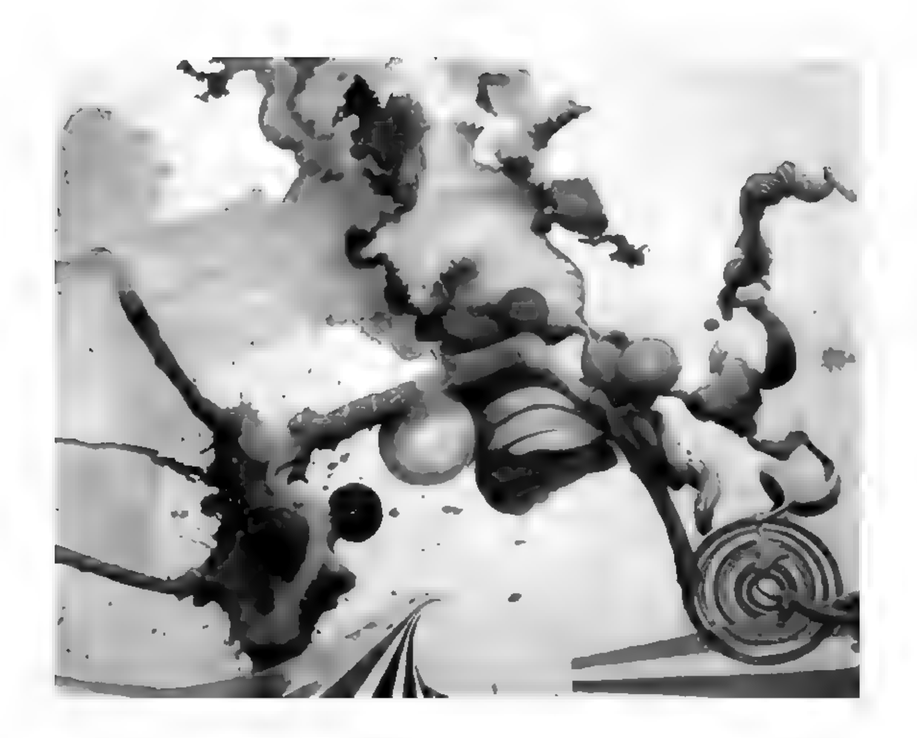
دخل أخي الأكبر. حاول أن يأخذني منه. «اتركها!» صرخ في وجهه. لكنه تشبّث بي أكثر، أحسستُ أن يديه العظميّتين تخترقان صدري وكتفي. تشرنق حولي. خرج أخي ثم عاد بعصا متوسطة الغلظ. لوح بها في وجهه «اتركها!» لكنه لم يتراجع، وهزّ رأسه بالنفي متطلعاً إلى عيني أخي، الذي اقترب وراح يضربه على يديه لكي يُفلتني. لكنه تكوّم علي أكثر. وصرت أسمع خبطات العصا على ظهره وصرخات أخي «اتركها يا حيوان..اتركها» وأنا تحته كنت أسمع الهمهمات تخرج حارة من صدره، وعندما أفلتُ وخرجتُ أخيراً، وجدت أحد أزرار المعطف الأسود عالقاً بيدي.

مرت الليالي عنيفة وموجعة. كابوسٌ لعين ظل يأتيني من وقتٍ لآخر؛ جميعنا نجلس

بفرحٍ وحبور، حول المدفأة، أنا وأمي وأخوتي. أزحف إليه مبتسمة، وأتدثر بمعطفه الأسود النّظيف والدافئ، أعبث بوجهه المُبتسم، ثم فجأة يُضيئ برقٌ في النافذة، وينقلب وجه أبي إلى وجه ضفدع مُشعَّر، وأتذوق في فمي ذات الطعم الرطب والمالح. أصرخ وأجد أمي توقظني، وتحضنني في الفراش وهي تبكي.

بعد ست سنواتٍ تقريبا على تلك الحادثة، عُدت إلى البيت. كنت في الخامسة عشر. كانوا قد بعثوني إلى جدتي في عمّان لأعيش عندها منذ تلك الكوابيس، وحيث لا أطفال يسألونني بإلحاح عن ذلك المُقيّد في الغرفة الخلفية، لعل العاصمة المزدحمة تنسيني شيئا من ذلك. وفور عودتي ذهبتُ إلى الغُرفة. حاولتُ أن أعود لكي أنظر من الثُّقب. كان الصيف قد أتي. أصبحتُ أُفضّل النظر من الثقب أكثر من النافذة. اقتربتُ بهدوء، وتطلّعت. لم أرَ العين الحمراء تتطلعُ إلي. ألصقتُ أذني ولم أسمع أي شيء. خفت أن أذهب إلى النافذة، خلت أنه ما إن أُطل برأسي، حتى أجد يداً ممتدة، غصن عليق شائك، يمسكني من ثيابي. بقيت حوالي الساعتين. أتطلع من الثقب ولا أرى أية أعين حمراء أو قدم سوداء ممدودة. ركضتُ وجلبت المفتاح المُعلّق بمسمارٍ في المطبخ. فتحتُ طرف الباب بحذرٍ وهدوء. كان المكان خالياً ونظيفاً. الخردة أيضا لم تعد موجودة. مكان الوتد لا زال غائراً في الأرض. رأيتُ أمي تقف في الباب تتطلعُ إلي عينَي المترقرقتين. أجابت عن تساؤلاتي الضمنية، بأن هزتّ رأسها وهي تعصر يديها. عرفتُ أنه قد فارق الحياة. مشيتُ قليلا ولم تحملني ساقاي. تدحرجتْ دمعة ساخنة من عيني. تكوّمتُ في الرُّكن المظلم. لا شيء أمامي غير حُبيبات غبار، بيضاء وناعمة تترنح في شعاع الشمس الداخل من النافذة. وأقبض في يدي على زرٍ لمعطفٍ أسود.





مفعول الحبة

نورا أبو خليل☆

أمضيت الساعات الأولى من الليل أتقلب في سريري.

أحتاج شيئاً، أريد شيئاً، أصدّق نفسي، أنام على جنبي الآخر، وأكذّب نفسي. أحدق في الأشكال الغريبة في الظلام التي لا تمتلك إلا لونين أساسيين. لوناً معيناً فاتحاً وآخر غامقاً، وأدقق فأرى درجات ما بينهما، ثم أحوّل إلى الجنب الآخر وأغمض عيني فأرى لوناً أحادياً.

☆ طالبة جامعية.

أحس بجسدي تعباً. نورٌ أضيء في الغرفة التي تسمّى عقلي بمجرد أن أطفأتُ أضواء غرفتي، ويوم من النشاط والعمل بدأ في عقلي بمجرد أن ألقيت بجسدي على السرير.

أكاد أسمع صوتاً لعقلي وهو يعمل، أكاد أسمع صوت الضوء المنار، أو لعله صوت الصداع؟

أقلب على جنبي الآخر. أتمنى لو أن لدي جنباً ثالثاً على سبيل التغيير، أنا متأكدة من أن جنباً ثالثاً كان ليساعدني على النوم.

أرفع المخدة وأضعها على الطرف الآخر من السرير مكان قدمي، يا للعناء الذي يتطلبه تغيير وضعيتي وتحريك أطرافي بطريقة مضحكة حتى يتوازن الغطاء علي مرة أخرى بعد جوقة من الحفيف والضوضاء. سأنام هذه المرة، لأنني من حركة جسدي أدركت كم هو تعب بالفعل ويرغب في النوم الآن الآن.

المشهد غريب من هنا، كل شيء بالعكس. تتبعثر أمنية أن أسترخي مع ما يفعله تغيير المشهد من إيقاظي بدل تنويمي.

لا يريحني النوم على هذا الجنب، فأنام على الآخر. عيناي تؤلمانني، وياللضيق الذي أشعر به من الظلام، من الشوب، من وضعية جسدي، من مرور الوقت الذي سيجبرني على الذهاب إلى الحمام مجدداً، من كل شيء. في هذه اللحظة يضايقني كل شيء.

أرفس الغطاء بقدمي وأحضر آخر أخف. هكذا أفضل، الآن سأنام. .. أو بعد قليل ربما، أو بعد قليل، أو بعد كثير... أتثاءب وأتثاءب حتى يصبح التثاؤب مملاً.

أن تمنعك أفكار من النوم شيء مفهوم. لكن أن تظل أرقاً بعقل مشروعه لا شيء، ينحت أشكالاً في الهواء أو يرقص داخلياً أو يربط ثقوباً ببعضها، شيء مزعج.

للعقل أسلوب مثير للاهتمام، فهو يحاول إقناعك كل يوم بقصة اخترعها لم يسمعها أحد على الإطلاق من قبل اسمها ليلى والذئب، أو يحاول أن يكتشف قصة الحب المخفية في ١+١=٢، أو يحاول أن يركل نفسه من الخلف، في محاولة لإشعار نفسه بالفخر بنفسه، لخجله من نفسه، من فخره بها..

المختصر: كلب يدور وراء ذيله... الأعوج. والكلب اليوم يدور ويدور، وأنا أدوخ وأدوخ.. وآبى النوم.

لدي فكرة جديدة، هي محاولة نفسية لخداع شخص تريده أن يفعل شيئاً ما، فتقول له: لا تفعله، فيعاندك هو ويفعله، فتفوز أنت وتضحك في عبّك. نعم، هذا ما سأفعله. أنا لا أريد النوم أصلاً، أنا مستمتعة بالـ.. بالليل والـ.. الهدوء. عدم النوم هو بالضبط ما أريده.. أصلاً.

نظرت إلى الساعة. ساعة كاملة مررت مذ شرعتُ في خطتي النفسية.

دفنتُ رأسي في المخدة بيأس.. لم تعد لدي رغبة في النوم، انتظرته كثيراً ولم يأتِ، ومجرد فكرة أن يوماً جديداً سيبدأ بعد ساعات تشعرني بمزيج من الإعياء والغثيان.

أقرر أن أصبح حليفة لعقلي، أو عدوة في الواقع إذ سأحشو الأفكار فيه حشواً لأعطيه شيئاً ينشغل به حقاً. سأفكر في القضايا التي يجب أن أحلها وأتغاضى عنها في النهار. تفضل، اشتغل..

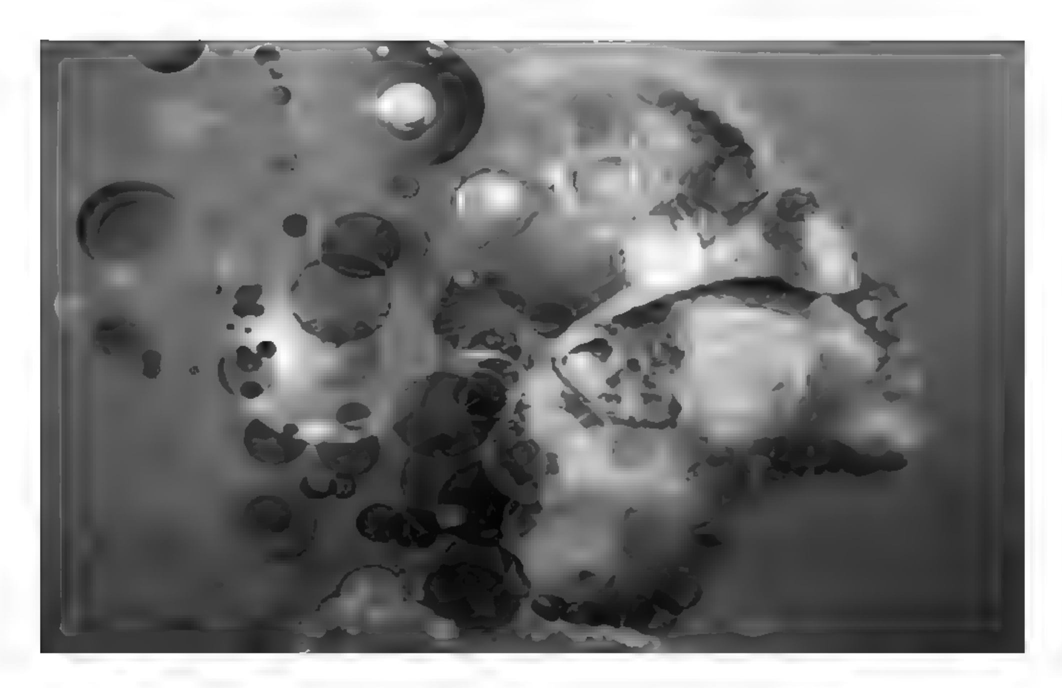
يمتلئ عقلي بالكثير، بما فعلته اليوم، بما علي فعله، بكل ما أسميه مشكلة، بذكريات من الماضي، بأفكار مستقبلية.. ياللهول، ما إن تغلق فكرة الباب وراءها حتى تدفعه أخرى وتدخل بعدها. حفلة.

أهمُّ لألحق بهم، فتباغتني فكرة تنتمي لمجموعة «ما فعلت اليوم» وتدخل الحفلة قبلي: لقد أخذت حبة دواء الرشح قبل أن أخلد للنوم.. همم، فعلاً. الرشح غلّبني.

صحيح، إن لدى تلك عرضاً جانبياً هو التنويم. كيف لي أن أنسى؟ دائماً ما تصيبني بالخمول وأذهب بعدها في نوم عميق رغماً عني، نوم عميق عميق.

وفي اللحظة التي أضع فيها يدي على مقبض الباب لأشارك المحتفلين، تنقطع الكهرباء، ويسكت كل من في الحفل. ويسمعون الشخير المنتظر يعلو بلا هوادة.





ذاكرة رمادية

رنا المحتسب ☆

سعيدةٌ هي .. أو تصطنعُ السعادة، بعد أن صار الفرحُ صنعةَ العصر.

فقليلٌ من مسحوقٍ.. كذاكَ الذي يصنعُ جمالاً مؤقتا كفيلٌ برسمِ قوسٍ على شفتيها!

لكنَّ عينيها لن تلمع !!

جميلةٌ هي الطبيعة..حتى الحُزن يحملُ في جنباتهِ وجهاً جميلاً!

«حزمت أمرها أمام المرآة، وانطلقت».

☆ طالبة جامعية.

كانَ يومها الأولَ في الوظيفة... كيومٍ أولَ لطفلٍ في مدرسة!

كم تمقتُ هذا المكان! كم تمقُتُ أرضَهُ، وكم تتمنى أن تطالَ غيمة من سمائهِ ؛فقط لتهرُب.

في آخرِ الممرِ المُعتِم مكتبٌ مكدسٌ بملفاتٍ قديمة، وخلفَ الطاوِلة شرخٌ عقيمٌ ينفرُ من الحائطِ نفراً رغمَ حداثةِ المكان!

الطاولةُ المقابِلة يحتلّها أحدُ الأشخاص.. ألقت عليهِ تحيةَ الصباحِ دونَ أن تنظُرَ في وجهه!

فلا شيءَ سيُغيّرُ نزعتها القلبية!

هو زمن.... وسيمضي كما أريد "حدثت نفسها مواسية"، وأخذت مكانها خلفَ الطاوِلة.

لو لم يُشارِكُها أحدٌ بمكتبها لكانت أفضلَ حالاً..

هما عينان! وعينانِ من خلفِ نظاراتٍ باردة تقابِلُ قلقها بقلقٍ، وتُطِل على حيرتها ببواكير انتظار!

هو....(كما تراه)، إنسانٌ بعيدٌ عن الكياسة.. بعيدٌ عن كلِ حدودِ اللباقة.

فحينَ تبدأ نهارها وتُحييه.. يرد بابتسامة مجهولة، وبنظرةٍ تُزعزعُ صفوفَ صمتها!

وحينَ تبادر لسؤاله عن الملفاتِ المُثقلة كاهلَ المكتب، يدفعها لحمل الملفات لطاولته المُقابلة.. ليُرشدها بخبرتِهِ التي لا تتجاوزُ بِضعَ سنين.

كم هو فظّ ...وغريب! وكلماتٌ مشابهة تُرددها كلما أغدقَ عليها بمساعدة.

لمى............!

«هي المرةُ الأولى التي ينادي باسمها»

التفتت إليه..

طالعها من خلفِ نظاراته «..أنا أعرِفُك!»

«رمى بجملتِهِ الملغومةِ في نهاية اليوم»

–هي: أنا لا أعرف أحداً، أنا أعُدُّ الأيامَ كمسبحةٍ لأرحل. «صفعت آخرَ ملفٍ في يديها وقدمتهُ للخزانة...

وغادرت، كعادتها قبلَه».

لمى...لمى....! رجعُ صوتِهِ زادَ من نفورِ الشرخِ في الحائط.

كانت لمى، تعدّ الأيامَ عداً، تركُضُ كسنجابٍ مذعورٍ في دولابٍ أخرقَ لتنتهي)!

تسعةُ شهور.. وتولدُ من رحمِ القانونِ الاستقالة؛ ولن ترى وجهَ المتعجرفِ ولا بلاهةَ الجدران.

اليوم.... موعدُ الرّحيل.. وابتسامةٌ كعُرسٍ منتظَر انسكبت على وجهها. نبتت على شفتيها وفاضت من عينيها...

(في مكتبِ المدير...)

- أمتأكدةٌ أنتِ؟؟؟

-هي: نعم..نعم، هاتِ الأوراق.

(عقدت توقيعَها في نهايةِ الصفحة، وأحكمت وثاقَهُ)

- أتمنى لكِ التوفيق.

- شكراً.. شكراً، أشكُرُك!

وخرجت لتُلملمَ حاجياتها

- لمى....يا ابنتي !

التفت خَلفها، «هذهِ من صاحبِ الكرسيّ المدولبِ» وأشارَ إلى آخرِ الممرِ المُعتم.

رفيقُ عملِك..سيرحلُ أيضاً اليوم!

ألقى بينَ يديها بشيءٍ ملوّن واختفى قبلَ أن تشكُرَه، شيءٌ يكتسِحُه القِدم!

أخذت تقلّبُه وذاكرتُها تتقلّب... بدا كلُعبةٍ مُهترِئة، اسمُها مُطرزٌ بخيوط بالية بالكادِ تراها..

لُعبتُها التي سقطت في نهرِ الطفولةِ ذاتَ شتاء!

هي لا تذكُرُ .. لا كيفَ ولا أين..، هي لا تذكرُ سوى وجهِ مجدي ابن الجيران

حينَ احتضنَ سنواتها الخمس، وطبعَ قُبلةً دافئة على جبينها.. واعداً إياها بإيجادِ اللعبة!

وتذكُرُ كم بكت على لُعبتِها، وعلى قرارِ جدتها المفاجيءِ بالرحيلِ لمدينةٍ صارت مسقط رأسِ أحلامِها!

نعم ...مجدي!

التفتت خلفها لترى الكرسيّ اللعين المُدوّلبَ قد اختفى... مُهدياً ذاكرتَها حفنةَ رمادٍ أخرى، ورجعَ صوتٍ قد شقّ سماءَ الذكريات.



سندريلا

ضحى الرفاعي[☆]

كانت تفكر... هل من جديد؟! صرخ المُخرج -حيث كان يجلس في الصف الثاني من مقاعد المشاهدين الخالية- بها وطلب منها أن تبعد أفكارها الكئيبة عنها وتركز بالنظر إلى الأمير أمامها وترسم بسمة ذات دلالة.

كان دور سندريلا فتاة الرمال حلم الكثيرات لكن براعتها وشعرها الذهبي ورشاقة حركاتها، سبب فوزها بالدور بغض النظر عن تفوقها في كلية التمثيل، رغم حداثتها لم يكن هذا عائقاً في وجهها لتتقن الدور، نظرت للأمير صار بطلها... فكرت به ومنعت نفسها من المُتابعة. منعت نفسها من النطق باسمه أو حتى تذكره... ذكرت نفسها... لقد هجركِ... نبذكِ.... فما عليك إلا نبذه بالمقابل من ذاكرتك ومن قلبك، نظرت إلى الأمير ثانية ووهبته ابتسامة تذيب الصخر مدت قدمها أمامه... ألبسها حذاءً من الكريستال... ناسب مقاس قدمها تمامًا. اقترب وعانقها بشوق... وقف الجمهور وحيّا العروسين هبطت قذائف من الباقات الزاهية نحوهما... انحنت لهم وهي تبتسم وترسل القبلات في فضاء المسرح الممتلئ.

وكانت النهاية السعيدة.

لكن الجمهور الذي غادر تغمُرُهُ السَعادة لن يعرف أن سندريلا التي وهبته شعوراً الانتصار والخيال، تغادر المسرح على عجل وتستقل سيارة أُجرة لا عربتها السحرية، لتصل شُقَتها المُتواضعة لا قصر أميرها الفاتن وتنام في حضن وسادتها الباردة قرب سرير طفلها الصغير النائم المنبوذ مثلها من زوجٍ لا يطيق أدوار البطولة لغيره.

☆ طالبة جامعية.



مساحة أخرى

بيان مصطفى ☆

فتح النافذة ليتنفس طبيعة وهواء ومناظر تمد روحه بنقاء هو بحاجة إليه: فروحه تائهة، ودائماً يسكنه هم وحيد هو أن يكون قطعة من شمس تطفئ تعاساته وتعاسة من حوله، كثيراً ما يصيبه ألم حاد في رأسه، كثيراً ما يغضب من نفسه ومن مزاجيته، كان كلما يعتليه شعور مثل هذا يفتح نافذةً على عالم آخر ليلقى شيئاً آخر أجمل من نفسه يستمتع به.. يتأمله عله يقوده إليه مرة أخرى.

☆ طالبة جامعية.

حلمٌ ما جاءه حين توقف عند النافذة، ربما يكون حلماً فورياً أتى ليعكس روحه به ويهدئه كي يبقى حاضراً منغمراً في حقيقة تامة. رأى نفسه طائراً على غمامة والآخرون أسفل منه يرجونه كي يهبط خوفا عليه من الوقوع من أحد عتبات السماء إلى الإسفلت الأرضي وحده، حملق وصرخ بهم: لن أهبط حتى تنثروا لي وروداً بكل الألوان، أخذوا يقطفون أزهاراً يقتلعون بتلاتها، كل ألوان الأزهار نثروها على مساحة ذلك السفح، نظر إليهم.. كيف أنهم انشغلوا، كيف أحبوا الزهور مبعثرة على التراب بألوانها العديدة كروحه بعد أن كانت مثبتة على سقفه، ابتسم ثم صاحوا لكي يهبط في الحال إليهم لأنّ الغمامة بدت أن أجزاءها قد تبددت ولم يبقَ منها إلا بقعة واحدة أصغر من جسده الثقيل، قرر الهبوط وفي أثناء ذلك مرّ طير به، همسَ: لا مفر من البشر.. من الأرض.. من أصلك.. حفّ هواء لطيف جسده، ثم أخذ صرير لرياح يدق أوصال روحه الثكلى، تبعثر الحلم وتلاشى كالغبار الذي تلا تلك الرياح.

التفت إلى زاوية أخرى، نافذة مفتوحة وستائر تطير.. وتطير بعضٌ من تأويلات تلك النافذة وخيالٌ في عينيه وحزنٌ داخله .. رأى فتاة في الشقة التي تقابله، حدّق بها ظاناً أنها إحدى أحلامه التي تجيء بلا موعد وعند ضيقه بالذات، رآها وقد بدت منهمكة في شيء ما حتى أنها لا ترفع رأسها أبداً.. إنها تكتب.. لقد رأى مساحة أوراقها ومدى اندماجها في ترتيب أسقام الحروف عليها أو إحدى تهيداتها.

ظل يتأملها، يتأمل كل تحركاتها، وأخذ يفكر في أولئك البشر الذين رآهم في ذلك الحلم العابر كيف أنهم خافوا عليه من ألم.. من أي مكروه قد يصيبه، كل الوقت كانوا يهتمون ببقائه على قيد الحياة، وكانوا قد فرشوا الزهور كي ترعى تنفسه.. كي تكون له مساحة جميلة على أرضٍ لطالما حاول الابتعاد عنها متشبثاً بغيمة عما قريب ستسقط ويسقط معها، وهذه الفتاة لم تأتِ معهم، لم تلمحه أبداً وهو قرابة الثلاث ساعات كان يتأملها، أخذت تفكيره كله الآن ووضعته مواجهاً للحياة مرة أخرى بلا أي حلمٍ قد يمر، أزعجه انشغالها عنه في كتابة أسطرٍ طويلة كثيرة دون أي اكتراث به .. دون أن تلاحظ ترقب عينيه المتواصل لها، أزعجه أن حياتها كلها حقيقة تكتبها على أوراقها. أن يكون حلمها قد أصبح واقعاً والآن تخطه على أوراقها، غضب أكثر.. استفزته تلك الأفكار والتساؤلات عنها.. اضطرب وصاح: لمَ لا تنظرين إلي ؟! رفعت رأسها واقتربت من النافذة، أخرج رأسه كله، جعله مواجهاً لهواءٍ كثيفٍ، أصبح وجهها مقابلاً لوجهه. قالت: كنت أكتب عن كل الذي همسته الطيور في أذنك أثناء هبوطك إلى الأرض. ابتسمت، غاب هو وأبقى نافذته مفتوحة بالكامل.

رباعية الحب

(إلى حارقة الصمت: ميادتي)

محمد مشاعلة[☆]

انتظر

هل ستذهب هكذا؟

أم ستذهب بشكل آخر كما أتيت أول مرة؟

خاتمك بداية غيمة تسحب أطفالها وراءها، لتغري السماء بنكهة التراب الناتج، تهيئ ماء الحرف في قبر البياض، تخبئ الرحم في إحدى النجمات، أربع يابسات أي أربع؟ لا تسل، وست خضر أي ست؟ لا تبحث، وفي قعر الذاكرة ما زال هناك ندى ماء ينمو، كيف؟ لا أعلم؛ إلا أن الله رسم لوحة في متحف المياه لك، وصهيل وعد في الانتظار، فامش فوق الريح في سواد الليل طارقا بنور كعبيك باب الأرض.

الانتظار

نقش في خاصرة الظل يتأرجح على حبال السكون، قُبل الريح للماء، صدأ الوقت في ظل السرو المتراكم فوق الغبار، نزف الوقت في وجه الصنوبر، انعجان السكون في الضجيج، عزف الضباب في اعوجاج المدى، ظل ملقى على حواف الطريق يرقص الموت، قصيدة من رماد الثمالة،.. فاهدأ.

☆ كاتب من الأردن.

الصمت

لربما كان انكسار أنين في المرآة، نص رسالة الماء، صلاة لنزف سقف السماء، غرور النبيذ، نزف لفقراء النمل، مقبرة لصراع الذات في مدارات الأحلام، طحلب الفضول على ضفاف الوقت، ليل يبكي عرقا فوق صدر الصدى، طفل يمتص كثافة الوقت يلهو بكسر الحقيقة، أرجوحة البكاء على حبال العطش موتا، قداسة أنثى، لغة الأموات، حوار قداسة من نصل أنثى على شرفات المساء، حوار الآلهة، .. فأنصت.

الوقت

أحيك دقا في إحدى جدران الرمل، كهل لا يزيد عن خمس سنوات أرهقه حمل والديه فشتم الطريق، رمل الزمن حبوا في ممر اللغة صنوبرا، غبار ملح قيح صدى الجرح، انسلاخ البحر عن السماء، حكاية شاعر أضاع ظل قصائده، مراوغة القدر، نطفة الوقت التي ما زالت تنمو في رحمه.. فانتبه.

الغياب: لا، بل الفقد

حضور يتكئ تجاعيد عكاز الملل، الحقد، الرتابة، اللامبالاة، الشرود، الصخب، القلق، العصف، جحيم المشاعر، محاورة الموت، المسافة ما بين الأرض والسماء .. فامض وأي الطرق كانت أهدى ؟

صراط حب؟ صراط صدق؟ صراط هزل؟ صراط صداقة؟ صراط ماذا؟

ضباب زمن يقيد الوقت، كيف؟ لا أعلم، صدأ يبتلع مثلث الكون بهدوء.

لا تنتظر، قد مات من سيأتي، ابتلعه ماء الطريق، فصدئت قدماه، فلا تمضغ ذاكرة حرفك وتبصقها نثرا عابثا ولا تشرب عصارته خمرا.

انتظر ... هل فهمت الذهاب؟ أم أنك سترحل هكذا؟

قراءة

د. حسام اللحام[☆]

ترتكز النظريّة النقديّة المعاصرة على جملة من الأسس التي باتت قارّة في الوعي النّقدي. ويتقدّم هذه الأسس اعتبار النّص الأدبي المنطلق والمحور الذي تدور القراءة في فلكه.

ومن الطبيعي أن تكون لغة النّصّ طبقا لذلك هي مرتكز القراءة؛ ومن ثمّ كان من شروط القراءة المعاصرة تجويد لغة النّصّ؛ لأنّ هذا النّصّ هو في الأساس بناء لغوي.

والاستخدام الخاصّ للغة هو ما يجعل للأديب شخصيّته المتفرّدة. وهذه اللغة – مهما تفاوتت درجات الإبداع فيها لا تستسلم للمباشَرة التي تفرض المعنى الواحد أو التصوّر المجرّد.

☆ قسم اللغة العربية جامعة الزيتونة.



يترتّب على هذا الفهم ضرورة أن يتنبّه الكاتب مستعمل اللغة إلى تعميق معرفته في اللغة والأدب ومجالات المعرفة المختلفة، وعدم الاكتفاء بهوامش محدودة لا تسعفه في التّحليق عاليا في فضاء الإبداع.

إنّ القارئ، في النّقد المعاصر، هو مركز العناية والاهتمام، وهو دائم البحث عن سرّ الإبداع اللغويّ في النّص، وليس في محيط النصّ أو مؤلّفه.

وهذا ما يفرض على المبدع أن يجعل من نصّه بناء فنّيّا متماسكا ومنسجما. وبهذا يكون النّصّ - لا القارئ - هو صاحب السّلطة العليا والموجّه بإشاراته الفنّيّة والجماليّة لقارئه؛ ذلك لأنّ القارئ، مهما قيل عن حريّته وكفاءته القرائيّة، يظلّ محكوما بلغة النّصّ وإشاراته.

إنّ تركيز الكلام على اللغة الأدبيّة والتّقنيات الأسلوبيّة، لا يعني، هنا، التّمركز حول هذا العنصر وحده، ولا يقصد به الدعوة إلى الاقتصار على التمتّع بالمشهد اللغوي الذي ينتجه النّصّ؛ فهذا ما رفضه بعض كبار البنيويين أنفسهم وكثير من النّقّاد المعاصرين. إنّ المقصود من التركيز على اللّغة، في هذا المقام، هو الدعوة إلى البناء اللغوي المحكم القادر على نسج رؤيا الفنّان المبدع للعالم. وهي رؤيا من المفترض أن يُجسّدها الكاتب بلغته الخاصّة في الشّعر أو النّثر. وتكاد الحدود التي تفصل بين هذين الشّكلين (الشّعر، والنّثر) تتلاشى في معظم النظريّات الأدبيّة المعاصرة.

أبدأ بهذه المفاتيح أو الإضاءات بين يَدَي النّظر في النّصوص التي كتبها عدد من كتّاب الشّعر والقصّة في مجلّة «أقلام جديدة»؛ لعلّ ذلك يكون مدخلا لقراءة تُشير أكثر ممّا تتقصّى وتُفصّل.

ولأنّ اللغة الأدبيّة هي لغة الفرادة والخصوصية، فمن المتوقّع أن تتاح لقارئ





هذه النّصوص أن يتنقّل بين عوالم مختلفة، تنشئها بناءات أدبيّة تندغم الذّاتُ المبدعة في نسيجها وتتبدّى فيها مناخاتها الرّوحيّة والفكريّة.

الشّعر:

وأبدأ الكلام على قصيدة «خيال» لمازن عبد الحميد كاظم: فهي تدلّ على دراية في الوزن العروضي، وقدرة على تمثّل المفردة الفصيحة. ويبدو إيقاع القصيدة أكثر ما يشدّ القارئ، ولا سيّما الامتداد الصوتي الذي يختتم بالقافية المنتهية بروي الباء المفتوحة الممتدّة بألف الإطلاق، وكذلك اطّراد بعض التّماثلات الصوتيّة:

فتعاتبنا بلا حرج

لزوال الحال أحبابا

وتباكينا على أثر

حين سدّوا دوننا بابا

وتفارقنا على ألم

وجمعنا منه أتعـــابا

ولكنّ القصيدة تلبس الرّداء التقليدي، وتأخذ بالتركيب الشّائع، وتركن، كثيرا، إلى وصف الشّعور لا تصويره.

ويبدو هذا المنحى أقلّ ظهورا في قصيدة «حبّ بأسلوب خاصّ» إذ يعبّر إبراهيم الصرايرة عن رغبة واضحة في التعبير بلغة يحسّها، ويعيشها، ويريد أن يطوّعها في شعره. فتظهر في قصيدته التي مطلعها:

قالوا نسيتك أحمقٌ من صدّقا

لا تستطيع الشمس إلا تشرقا

وهو يوظّف بعض المفردات المعاصرة: محاضرات / الخلوي...

ولا قيمة لهذه المفردات في الدلالة على حداثة القصيدة أو جدّتها إذا لم تدغم في بنية كلّيّة محدثة تتآزر أجزاؤها لتوصيل





المعنى الشعري.

وتزخر القصيدة بمؤشّرات واعدة لبلوغ هذه الدّرجة من الشعريّة :

أو تذكرين مزاحنا وعنادنا

وغداة أبحر في خيالك زورقا

وأظلّ في دنياك أستبق الهوى

نهرا تناوشه الهوى فتدفّقا

ومن الأجدى التّخفيف من حدّة الإيقاع الخارجي والابتعاد عن المبالغات: فهما ممّا قد يذهب بلذّة القراءة.

وعلى النّقيض من ذلك تقف قصيدة «مرايا العبير» لحيدر البستنجي معلنة عن لغة صادمة، قلقة، تستفز حاسّة القارئ، وتستنفر طاقته التأويليّة: فلغة القصيدة مشبعة بالقيم الفنّيّة والجماليّة. وهي تجسيد حيّ للذات في بحثها عن الغائب الحاضر. وهي ذات مثقلة بشعور الوحدة والفقد والغياب، وتجد صدى أنفاسها يتردّد في ذلك البعيد الغائب المتداخل فيها، والحاضر عبر رموز الطّبيعة /الورد. وما تخلّفه من أثر يستدعي الغبطة والنّشوة: وهي هنا قرين الحياة:

أتعثّر بثياب القصيدة
أتلعثم بالتّراب الذي بين يدي
لأنّ قرنفل عطرك بادأني بالتّحيّة
...
في المقعد ثمّة قلق غائم
في المقعد أنا وثوان حجريّة
بانتظار العبير

وتردّ بنا قصيدة «صلاة على شال أمّي» لمحمّد عبد الباري إلى أجواء محمود درويش في بداياته «أحنّ إلى خبز أمّي» وفي غنائه لأمّه في أحد عشر كوكبا. ولا يتردّد محمّد عبد الباري في الإفصاح عن هذا: فقد أتبع عنوان قصيدته بعبارة مقتبسة من شعر درويش «فكّرت يوما بالرّحيل.. فحطّ حسّون



خيال



فتوى

على يدها ونام» كما تناصّ مع شعر لدرويش في مواضع أخرى.

ولا يقلّل ذلك من جماليّة قصيدته المنظومة على بحر الوافر في ستّة وعشرين بيتا. وقد عبّر فيها عن شوقه لأمّه وإخلاصه وتفانيه في حبّها. كما عبّر عن وجع الرّحيل مجسّدا بغنائيّته السّاطعة مأساة شعبه ووطنه:

أيا أمّاه من نأي إلى نأي
سنقترح الصَّبا وطنا بديلا

وتفصح القصيدة عن قدرة محمّد على تشكيل الصورة المبدعة. وفي مكنته تمتين نصّه الشّعري وتطويره ليكون صوته الخاص. ولا يعني ذلك مجافاة شعر درويش أو غيره. بل توسيع الممارسة الشّعريّة بتوسيع أفق النّظر والقراءة. والتّخلّص من أيّ مؤثّرات خارجيّة توحي بأنّ الشّاعر ليس هو.

وفي قصيدة «آهات خفّاقة بالجراح» لطارق الدّراغمة ثمّة التزام بما لا يلزم. فقد قيّد قصيدته بقافيتين متوازيتين. فسلك بهذا مسارا لا يوافق الشّكل القديم ولا المعاصر: إذ نظم قصيدته على بحر الكامل في ستّة عشر بيتا. ثمّ جعل لكلّ شطر قافية؛ فالشّطر الأول في البيت ينتهي بالهمزة المضمومة. وينتهي الشّطر الثاني في البيت بحرف القاف المكسور. وهكذا يمضي في القصيدة التي مطلعها:

الشّعر خمر رامه الشّعراءُ
وعتيق خمري في الدّنى تخفيقي

إنّ اختيار الشّكل الفنّي ليس هو ما يحكم عمليّة الإبداع. ذلك لأنّ الحكم في نهاية الأمر يتوقّف على مدى قدرة الشّاعر على الاستخدام الشّعري الأمثل للشّكل الفنّي: وهذا مردّه إلى القدرة على توظيف الإمكانات الأسلوبيّة القادرة على شحن لغة النّص بالحرارة اللازمة للتشكيل الفنّي والجمالي.





أمّا التوسّل بأغراض الفخر والهجاء والمدح في جزر متفرّقة ونائيّة فلا يبعث الرّوح الشّعريّة في الكلام.

وتتّخذ قصيدة «فتوى» لمحمّد زكي مسارا مغايرا: وهي على، الرغم من تحلّلها من الوزن العروضي ومن ومسلكها الخطابي، تدلّ على شاعريّة قادرة على التطوّر. والشّاهد على ذلك اجتراحه لعدد من الصّور التي تنبئ عن إمكانات شعريّة ترفد رغبته في السّير قدما نحو الكتابة المتجلّية. ومن شواهد صوره:

تحري السّلاحف حتّى تلحق

بالرّيح خلف خرافاتكم

بكلّ هدوء السّلاسل

قبل أن تفكّك أجسادها

وفي قصيدة «خلل» لمروان البطوش تعبّر الذات عن موقفها إزاء الواقع بلغة تصويريّة تقدّم المعنى مشخّصا ومجسّما. وهو ما يؤدّي إلى التدفّق الدلالي الذي يشفّ عنه هذا الاستخدام: وقد اتّخذ من بعض المفردات رموزا ليعبّر بها عن موقفه الرّافض لما يمليه عليه الوضع الرّاهن. ومن المفردات التي جعل منها رمزا «الغبار»:

الغبار صدى الدّمار

...

المخزن الشتوي لا يبكي

ولكن يكتفي بالصّمت في وجه الغبار

أكل الغبار من الرّحى شيئا وطار

إنّ الشاعر بتكثيفه لاستخدام كلمة «الغبار» يجعل منها الكلمة المفتاح التي ربّما ينفذ القارئ منها إلى المعنى الكلّي الذي يشغل الذات: وقد يكون ضبابيّة الرّؤيا إزاء التّعامل مع الآخر الذي يريد استلابنا أو هو يستلبنا فعلا.

وفي النّصّ الموسوم بـ «لست ظلّي» لندى ضمرة، تدور الذات الكاتبة في دائرة يحاصرها فيها إحساسها بالخوف من غامض لا تعرف كنهه أو هي تعرفه ولا تستطيع مواجهته. وهي





تدأب في تصويرها لهذا الإحساس عبر لغة سرديّة خالية من الوزن الخارجي، وتنطوي على جانب من الفنتازيا. ويبدو أنّ هذا النصّ ينتمي إلى القصّة أكثر من انتمائه إلى الشعر. وقد اعتمدت الكاتبة على السّرد بضمير المتكلّم (أنا) وهو أبلغ تعبيرا عن الحاجة إلى البوح بما يعتمل في الذات، كما استطاعت عبر استخدامها المكثّف للأفعال المتتابعة – برابط أو دون رابط – أن تجسّد إحساسها تجسيدا حيّا.

وقريب من هذا النّصّ، في التخيّل والانتماء الشّكلي، نصّ «عقد اليتيم» لعبدالله الزيود؛ وهو يجسّد فكرته متوسّلا بضمير الغائب «هو» مصوّرا الجوّ النّفسي لـ «اليتيم» في لحظة إصغاء لما يذكّره بحاجته إلى «الأب» ويصوّر، عبر السّؤال عن الغائب الذي يشي بطبيعة تفكيره الطّفولي؛ من خلال تقليد عمليّة الخلق:

ماما كيف يصنعنا الله من تراب وماء؟

وينهي الكاتب سرده بومضة تضيء النصّ كلّه، وتبثّ إشعاعاتها في ذاكرة القارئ:

أحاول صنع بابا منذ الصّباح

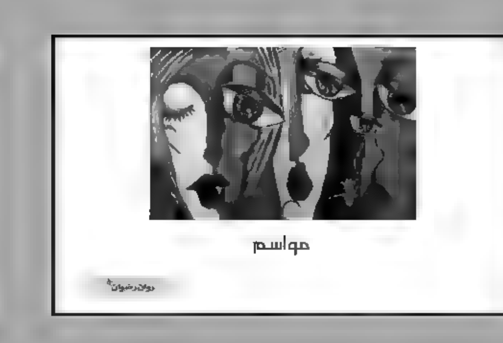
ولا أستطيع

وفي نصّ «تصوّف» لسنابل الفار نقع على لغة مرمّزة لا تُسلم المعنى بطمأنينة، بل تظلّ فاعلة في أفق القارئ، وتدور به اللغة / الخيال إلى حيث لا قرار، ولا استقرار، وهي تصوغها في سياق سردي:

كان يرافق القصيدة إلى مصير الكلام

صلبوه يدسّ يده في الغيب المحتقن

ويبدو أنّ التستّر بقناع «البطل المجهول» هو من متطلّبات اللغة الصّادمة لوعي مخدَّر كما يظهر في النصّ، وهي لغة تنكر أكثر ممّا تصدّق، وتقدح شرارة المعنى الذي ينمّ على ذات ثائرة على ذاتها ومحيطها، لكنّها تطوي ثورتها في صمتها:





يا آخر الأنا

ما بقي من مدى لكذبتنا الصّاعدة

السّلالم ماتت

مذ خرّبنا كلّ أدراج الحلول

وشلحنا الصّور واللغات على حوافّ الهويّة

فاسكن وأنصت لصدى عمودي يخرقنا

ويحاول أكرم الزعبي في «سقوط حرّ» أن يخفي مرارة الذّات واغترابها في داخلها وفي الواقع الذي يعمّق الاغتراب؛ وذلك عبر إيقاعيّة توحي بالتدفّق والانطلاق، ولكنّها في الواقع مقيّدة بضوابط خارجيّة عروضيّة، وأخرى صوتيّة، ولغة مفارِقة تشير إلى ذات متشظيّة.

ومن اللافت، رغم قصر القصيدة نسبيًا، تكرار اللازمة التكراريّة لكلمة «أسقط» في بداية كلّ مقطع من مقاطع القصيدة الخمسة. وقد رتّبها الشّاعر عموديًا لتلائم معنى السّقوط السّريع والمدوي والمستمر.

أسقط

أسقط

وكرّر كلمة «أسقط» في بداية كلّ مقطع مبرزا طبيعة هذا السّقوط في كلّ مرّة. ولبثّ مزيد من تعميق حالة التفجّر الكامنة التزم الشّاعر بحرف روي في بداية المقطع وخاتمته مختلفٍ عن الروي في المقاطع الأخرى، وذلك في القصيدة كلّها.

ويشعر القارئ، عبر هذا الإيقاع، بخفوت الصّوت في المقطع الرّابع، وهو يمثّل، على الرّغم من خفوته - ذروة التّعبير عن حالة الاختناق والأسى، وكان في مكنة الشّاعر أن يجعله خاتمة النصّ، لا أن يلجأ إلى المباشرة والتّفسير كما فعل في المقطع الأخير الذي يخدش جماليّة هذا النّصّ.

وهذا هو المقطع الرّابع:

أسقط في الوطن على موتي





أرثيني بهدوء الشّاعر

أدفنني ببقايا صوتي

القصّة

في القصّة، كما الشّعر، ثمّة ذاتٌ إنسانيّة تتناثر في النّسيج اللغوي؛ ولا عذر لكاتب لا يخصب لغته؛ فهو يسير في درب الأدب. وللأدب متطلّباته المعقّدة أوّلها وأساسها جماليّة اللغة المكتظّة بالدّلالة.

وفي المجموعة، موضع النّظر، قصص متفاوتة الطول: منها ما يقع في ستّ صفحات «سرّ الأريج» لإبراهيم العدرة، ومنها ما يقع في صفحتين أو أكثر قليلا «رصاصة طائشة» لحليمة الدرباشي، و«مواسم» لروان رضوان، ومنها قصّتان لا تتجاوزان الصفّحة والنصف: «كبت» لسلمى عويضة و«الصّرخة» لسلمى إبراهيم، وثمّة ثلاث قصص لسونا بدير لا تزيد الواحدة منها على نصف صفحة «احتمالات، المظلّة لا تتّسع إلا لاثنين، انقراض»، ولجلّنار زين ثلاث قصص: «براءة، أمومة، القنّاص» تقع الأولى والثالثة في اثني عشر سطرا، والثانية في أربعة أسطر، و«زجاجة عطر صغيرة» لسلمى عويضة.

يرمي هذا التقصّي، لعدد الصّفحات والأسطر، إلى التّنبيه على طبيعة الشّكل القصصي والخيارات القصصيّة الماثلة؛ وهي، في الإجمال، تتأطّر تحت جنس القصّة القصيرة، ولكنّ هذا التّحديد قد لا يقنع كثيرا من نقّاد الأدب؛ لأنّ القصّة القصيرة ذاتها يمكن تقسيمها، بحسب حجمها وكثافة لغتها وعناصرها الفنّيّة، إلى قصّة قصيرة، وأقصوصة، و قصّة قصيرة جدّا.

ولكلّ منها أركانها وشروطها، ولكنّها تلتقي جميعا على أمر واحد لا مناص منه، وقد نبّهت عليه في مبتدأ الكلام، وهو إتقان اللغة التي تكتب بها هذه القصص بمختلف أحجامها. وما يمكن التّنبيه عليه في هذا السّياق هو





أنّ مطالب هذه اللغة تتعمّق وتزداد صرامة كلّما قلّ حجم الصفّحات؛ ومن هذه المطالب: التكثيف النّاجم عن الإيجاز، والإضمار، والحذف، وغيرها من التقنيات التي لا بدّ من توظيفها لإحكام البناء القصصي.

ويمكن، في هذا الإطار، تقسيم القصص إلى قسمين: أولا: قصص قصيرة، ثانيا: قصص قصيرة جدّا، يندرج تحت القسم الأوّل: سرّ الأريج، رصاصة طائشة، كبت، مواسم، الصّرخة، ويضمّ القسم الثّاني: زجاجة عطر صغيرة، احتمالات، المظلّة لا تتّسع إلا لاثنين، انقراض، براءة، أمومة، القنّاص.

في قصّة «سرّ الأريج» لإبراهيم العدرة يشدّنا القاصّ منذ اللحظة الأولى، لحظة العنوان، إلى نسيجه الأكبر «النّص الكلّي» فالعنوان في هذه القصّة لاعب أساسيّ؛ لأنّه يضع القارئ في أجواء غامضة تنطوي على أسرار لا بدّ من الوصول إلى معرفة كنهها وخفاياها.

وبهذا المفتاح السرّي يلج القارئ مشدودا إلى تتبّع ما تختزنه اللغة القصصية من أسرار. وينفتح المشهد القصصي الأوّل في هذا النّصّ على بداية حواريّة بين صديقتين تبوح الشخصيّة الرئيسية فيهما بما يُهدى إليها من ورود حمراء في كل يوم دون أن تعرف مصدرها، وقد بلغت من السنّ عتيّا، ولم تعد تجد ما يذكّرها بأنوثتها، وهي، أنوثتها، من المفترض أن تكون منبع إحساسها بإنسانيّتها، وتتعاضد عناصر القصّة الأخرى: اللغة، أشخاص القصّة، الحوار في الكشف عن الأجواء النفسيّة التي تعيشها الشخصيّة الرئيسية اللاهثة وراء السرّ الكامن في هذا الإهداء المفاجئ والجميل، وهو الذي ردّ إليها إحساسها بكينونتها وبوجودها الإنساني.

وبهذا يضع الكاتب قارئه في لحظة إنسانيّة باتت في محلّ الإهمال والنّسيان.

ولعلّنا نجد تجسيد هذه الحالة من الفقد والشّعور بغياب الإنسان في معظم القصص

التي نعرض لها. وأكثر ما يؤكّد هذا الغياب تنكير الأسماء الشخوصية؛ أي تركها بلا اسم تسمّى به. فيغدو الحديث عنها بضمير الغائب (هو). وهو يرمز إلى تشييئها واستلابها. وربّما يصدق هذا على الذّات المبدعة التي يصدمها الواقع فتتشظّى فيه وتعيد إنتاجه في لغتها النّابضة بهذا الوجع الإنسانيّ.

وهذا ما يلحظه القارئ في قصّة «رصاصة طائشة» لحليمة الدرباشي؛ فهي تفصح منذ البداية بالسّؤال الكاشف: «كيف لنا أن نحلم؟» بما يعتمل في داخل الذّات التي تُحرّك الشخصيّة المنكَّرة في القصّة عبر أحلام متعدّدة ومتنوّعة، لكنّ هذه الأحلام، في المحصّلة، دالّ ومؤشّر على التشظّي والضّياع في الواقع المادّي.

«كانت تتخيّل كلّ ما تحلم به، فسرعان ما عرفت الفرق بين الخيال والحلم».

وفي إمكان الكاتبة أن تطوّر من أدواتها القصصيّة، فتبتعد عن المباشرة، وتسطيح العبارة، وتلجأ إلى اختزال اللغة؛ لتمنحها النّور اللازم لتغدو حيّة نابضة موحية، لا صريحة مباشرة.

ويتردّد صدى الذّات المنقسمة بين الحلم والخيال والواقع في قصّة «كبت» لسلمى عويضة التي بدت قادرة على بلورة تجربتها في لغة تصرّح حينا وتضمر حينا، وتترك في بعض ثنايا الكلام فراغات تتيح الفرصة للقارئ للمشاركة والتّفاعل وملء الفراغ.

«هذه المجنونة قد فرّت من بين الأسطر بمجرّد تفكيري بـ....، يووووه لم أكمل حتّى تفكيري بـ....

على أنّ ذلك لا يعفي الكاتبة من تحمّل المسؤوليّة في تجنّب بعض الأخطاء النّحويّة التي تخدش لغة القصّة.

في قصّة «مواسم» لروان رضوان، تعود بنا الكاتبة إلى بيئتي المكان والزّمان اللتين نفتقدهما في جميع القصص التي تحت النّظر؛ وتغييبُهما مشابهٌ في دواعيه لتغييب الاسم وتنكير الشخوص؛ وهو تغييب معنوي. والتّنكير نلحظه في قصّة مواسم أيضا، رغم وجود الإنسان الحبيب / الصّديق.« إنّ عمّان «الآمنة الوديعة هي البيئة المكانيّة التي يدور فيها الحدث / الحلم في قصّة «مواسم»؛ بيد أنّ بغداد الجريحة هي التي يتلاشى فيها الحلم / حلم الذّات، كما يتجسّد في النّهاية:

«عزيزتي:

أحبّك... ولكن موسم جني التّمر في بغداد قد حان، اعذريني».

وتذكّرنا سلمى إبراهيم في قصّتها «الصّرخة» بأنّ ثمّة اسما صريحا هو «جهاد» يجسّد دور البطولة في قصّتها. فها هي

ذي تؤكّد القاعدة التي أومأنا إليها؛ وهي تنكير الشّخوص في جميع القصص إلا هذه «الصّرخة». ويبدو أنّ الذّات كلّما أوغلت عميقا في تمثيل مشاعرها بصوتها الذاتيّ الخالص بعيدا عن الصّوت الجمعي، تظلّ مسكونة بالهواجس والعواطف الخاصّة. لكنّها حين تفسح الطّريق إلى الفضاء الخارجيّ تجد سبيلا إلى إثبات حضورها الاجتماعيّ، وليس في هذا خلل يمكن أن يلام الكاتب عليه، بل أرى ذلك من واجباته، شريطة ألّا ينزلق بلغته إلى هاوية المباشرة والتّسطيح.

وقد زاوجت سلمى بين الأمرين، فعبّرت بلغتها الشفيفة والصّريحة عن رغبتها في تمثيل البطولة وتمجيدها؛ فثمّة من يموتون في سبيل أوطانهم، وثمّة أوطان تنتهك، وحقوق تغتصب.

وتبدو مغامرة الكتابة القصصيّة أكثر بروزا في قصص سونا بدير، وسلمى عويضة، وجلّنار زين. ويرتدّ ذلك إلى طبيعة اختيار الشّكل القصصي الذي جنحت إليه كلّ من القاصّات الثّلاث؛ فهو يعدّ أحدث زمنا وأقلّ ذيوعا، إذا ما قيس بالأشكال الأخرى. وأعني به القصّة القصيرة جدّا. إنّ هذا اللون من الكتابة يتطلّب الحدّ الأقصى من الاستخدام اللغوي الأمثل؛ من حيث التكثيف، والإيجاز، والحذف، والإضمار، وتوظيف الأفعال الحركيّة لتسريع الإيقاع السّردي، والتّوتر الدرامي...

وقلّة عدد الأسطر شرط أساسيّ لكتابة هذا الشّكل القصصي؛ فهو قد يقع في سطر واحد أو بضعة أسطر، ولا يتجاوز نصف صفحة. ولهذا كان الخوض فيه مغامرة تفرض على الكاتب استنفار طاقته الإبداعيّة في أقصى تجلياتها اللغوية والترميزية والدراميّة.

وينبني على هذا: التّخفّف من العبارات الوصفيّة، واختزال الحدث. وهذا ما صنعته الكاتبات الثلاث على تفاوت واضح، وبشيء من التّزيّد في بعض التفاصيل.

في قصّة «احتمال» تعمد سونا بدير إلى تقسيم قصّتها إلى أربعة احتمالات، يستغرق كلّ منها، تقريبا، سطرين؛ وهي تتدرّج عبر كلّ منها في أفكار نوويّة مترابطة. وفي لغة فعلية حركيّة لتبثّ في نوع من المقابلة إحساسها بصعوبة تحقيق حلم اللقاء الذي يبدو مستحيلا لكنّه يظلّ حاضرا في الذات:

«لملم ما يعينه على إغواء المنافي. ورحل، تعثّر عطرها، أسقط الحقيبة، تناسى لذّة الوطن، تنسّمه، أعاد الحقيبة، تابع المشي، الآن صارت الحقيبة أثقل».

وتنسج سونا على هذا النّحو قصّة «انقراض»، التي تنبني على أربع نقاط، تجسّد كلٌّ منها فكرة نووية ترتبط بالأخرى، وتمتدّ من البداية إلى النهاية في سياق سردي

منسجم ينتهي بنهاية واخزة رامزة: «نمت النخلة دون أن تفكّر في مصير النخل بعدها؛ فهي عاقر دون ثمر».

ومن التعسّف تصنيف قصّة «المظلة لا تتّسع إلا لاثنين» ضمن القصص القصيرة جدًا؛ لأنها، رغم قصرها، لا تُعنى بالتكثيف والإيجاز بالقدر الملائم؛ فهي تمتدّ بعباراتها وإيقاعها البطيء لتنسج الإحساس بالنشوة والغبطة «تحت المطر» في ظلّ من يشعرها بالدفء والأمان؛ فهي أقرب إلى الخاطرة القصصية.

أمّا قصّة «زجاجة عطر صغيرة» لسلمى عويضة فيمكن تأطيرها تحت القصّة القصيرة جدًا، وهي أطول في عدد السطور من قصّة «المظلّة لا تتّسع إلا لاثنين» لكنّها تتّسم بحركيّة الأفعال وتتابعها وتراكبها، وتعتمد العبارات القصيرة. ويعيبها الإكثار من العبارات الوصفيّة وملاحقة التفاصيل. وفي قدرة الكاتبة اختزالها والاكتفاء منها بما يؤدّي الغرض.

ومن القصص القصيرة جدا قصتا «أمومة» و«القنّاص» لجلّنار زين. ولعلّ قصة «أمومة» أقرب النماذج القصصية التي تمّ تناولها، هنا، إلى شكل القصّة القصيرة جدًا؛ فهي تقع في أربعة أسطر؛ لكنّها مكثّفة ورامزة، ومختتمة بنهاية صادمة:

«قال لها: أشعر بالبرد يا أمّي.

تبسّمت واعدة إيّاه بما يدفئه في زيارته التالية.

بعد أسبوع... عادت إليه تحمل كنزة صوفيّة حاكتها بيديها...

ألبستها لشاهد قبره... ثمّ مضت.

وفي قصّة «القنّاص» تؤكّد جلّنار إدراكها لجاذبيّة هذا الشّكل وقدرته الإيحائيّة: فترسم مشهدا قصصيًا أطول من سابقه. لكنّه يشترك معه في الشّكل القصصي، ولعلّها تتخفّف من بعض العبارات التفصيليّة لتبلغ بقصّتها درجة أعلى في الشعريّة والتّأثير.

أمّا «براءة» فهي تدخل في إطار الأقصوصة؛ وهي تمثّل حالة إنسانيّة في لحظة معيّنة وفي نصف صفحة، ويشيع فيها استخدام العبارات الطويلة، وتجنح إلى التوسّع والتبسّط في الحوار.



شارع الحمام[1]

أحمد الكسيح☆

صباحا، كل الوجوه تلبس وجهاً واحداً كئيباً له طعم الحنين وملوحة صخر البداية.

في الظهيرة، تسحل جباه المارّة على الأرصفة. هواء الشارع مليء بالقبل.

مساء، تنحدر الأضواء عرجاء، تلك الأضواء اللعينة يغريها دمعي، تنوء بها جذوع الأعمدة، تلهث في فناءات الذاكرة، تخرج من سوادها وتستحيل حليّا في أعناق نساء السواحل والأساطير التائهة، ثم تسطع نبيذا يملأ جرار الشتاء.

خطوات قليلة محسوبة بالمجاز الشعري لا بالمسافة الجغرافية، تصل بين بداية شارع الحمام شرقا من مقهى الميدان إلى الطرف الغربي المنتهي بساحة العين المغلقة دائريا بالمسجد الكبير يقابله بيت أبي جابر، ثم يصلب هذا التقابل الدير وشارع الحمام من الأسفل، وتعلوهما بانحدار حارة الأكراد.

كل ما تحدثه هذه الخطوات أو بالأحرى ما تكتبه هذه القصائد، هو شيء من الاهتزازات والإرهاصات وتماوج الشعور. إن محايثة حجارة شارع الحمام وأدراجه الذهبية اللون قد يخلق في وعيك مناخا مشعّا بمساحات مليئة بالماضي العابق أحداثا، وفي لحظة ما تكون على وشك أن تسمع تلك الحجارة وهي تروي لهواء النهار ما رأته، أو أن تشتمّ رائحة تلك الذكريات حاضرة ملء الوضوح والثقل.

هي الذاكرة، كلما زادت نغلا وبعدا وحفرا إلى الوراء/ الماضي، كلما صارت أكثر كثافة وإشعاعا وقدرة على احتلال الحاضر ونشر أدواتها، راسمة خطّ الرؤية الثابت باتجاهاته الثلاث (الماضي/الحاضر/المستقبل) فهي كالخمر، كلما زاد مكوثها في خوابيها وعتقت أكثر كلما زاد نضجها وأثرها العميق عند حضورها.

☆ قاصّ أردني.

الأصعب وأنت في شارع الحمام أن تحاول إدارة مشهد من مشاهد الماضي قد حضر على عجل لسبب ما، فهناك ماض عصيّ على العودة كإحدى مراحل العمر مثلا، لأنك مضطر للإمساك بظلال الخواطر المستدعاة وأشباه الأحلام المتفلّتة من معاقلها، كأنك تحاول الإمساك بموجة في بحر متلاطم تعرف مسبقا أنك لن تحصل من زبدها على شيء، تحاول أن تنسج من خيوط مهترئة متقطّعة مشاهد ذلك الماضي في محاولة منك لتحنيطه وخلع ثوب سكون المادة عليه، ولكن سرعان ما ينقطع شريط هذه المشاهد فلا يبقى منها سوى الهباء المتكامل، وحنين جارف ورغبة في البكاء لحدّ الجنون أو الموت لا فرق.

السؤال،

هل نحاول عبثا أن نشرب من نهر جفّ منذ زمن بعيد لنشعر بالارتواء؟ أم نحاول السباحة فيه لنشعر بخفة العودة المحتوم بوهميتها ؟ هل النهر ليس هو النهر كما يدعي إلياس فركوح[2]؟ أم أن النوم مع الخيال أحلى من النوم مع الذاكرة كما يدعي أنسي الحاج[3]؟

فإما أن نشعر بالنهاية كمن يمر عليه الوقت مسرعا، أو أن نشعر أننا منهوبون من وقتنا ومختلسون كما هو حارس الأوقات في غرفته.

في الحقيقة لم أعبر شارع الحمام، فأنا مازلت حافرا جسدي على إحدى مقاعد مقهى الميدان، أرقب نفسي من خلال المارّة، رغبت بشرب فنجان من القهوة فسرعان ما وجدت فتى المقهى (شاكر) نابتا إلى جانبي يسألني عن رغبتي، قلت في نفسي: لقد لبى هذا الفتى النداء قبل أن يخرج من رأسي. فكيف لو صرخت بأعلى صوتي كما يفعل الزبائن، لا أعتقد أنه سيسمعني مع كل هذا الصخب الذي يحتل أبنية ومحالّ شارع الحمام والذي يسيل في الشوارع راكبا ألسنة المارّة والباعة ونابعا من مسجلات السيارات ومزاميرها.

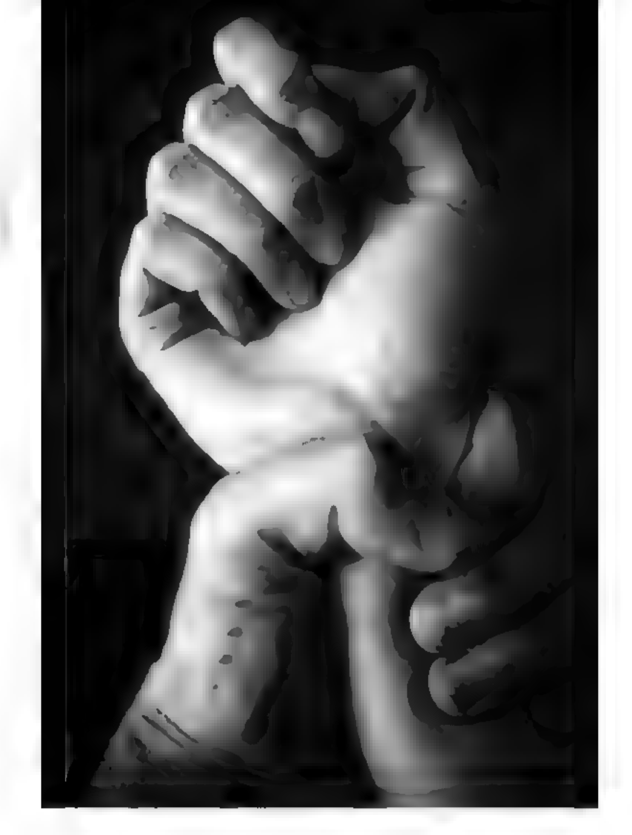
ابتسم الفتى ومن خلفه كشبح المصباح انتصب صوت أم كلثوم عابقا من مذياع المقهى: طول عمري بقول.... قال لي الفتى وكأنه أدرك ما كنت أفكر فيه: أنا على الموعد دائما. كان صوت أم كلثوم عاليا فأحسست للحظة وفتى المقهى يحرك شفتيه أنه الذي يغني كلمات تلك الأغنية.

الهوامـــــش

١ـ شارع تجاري يقع ضمن المسار التاريخي لمدينة السلط.

٢ـ قاص وروائي أردني.

٣ـ شاعر لبناني.



العنف المجتمعي
الأشكال والأسباب والحلول

د. أحمد راشد ☆

مقدمة:

يعدّ العنف المجتمعي خطرا على المجتمع المدني، يؤدي إلى إضعاف المؤسسات المكونة لهذا المجتمع، مما يؤدى إلى غياب الاستقرار. وقد شهد الأردن خلال الآونة الأخيرة حالات متعددة وغير مسبوقة من أشكال العنف المجتمعي، كان لها أثر سلبي على المجتمع، سببها جهل الأفراد والجماعات أو ابتعادهم عن الأسلوب الحضاري والسلوك المدني للحوار، وحل الاختلاف في وجهات النظر.

☆ مدير مديرية المشاريع/وزارة الثقافة، وخبير في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

يمكن أن نرجع عوامل ظهور العنف المجتمعي الذي بدأ يؤرق المجتمع الأردني خلال الفترة القليلة الماضية إلى عدد من العوامل منها :

١- عوامل لها علاقة بتربية الفرد في الأسرة والمدرسة.

٢- عوامل لها علاقة بالوعي والمعرفة والوازع الديني لدى الأفراد.

٣- عوامل لها علاقة بغياب العدالة الاجتماعية.

٤- عوامل لها علاقة بتطبيق التشريعات والعقوبات.

٥- عوامل لها علاقة بالوعي المجتمعي والقيم المجتمعية.

٦- عوامل لها علاقة بالواقع الاقتصادي للفرد والمجتمع.

٧- عوامل لها علاقة بالاصطفافات السياسية والجهوية والمناطقية.

٨- عوامل لها علاقة بتعاطي المواد المخدرة والمسكرة.

مسؤولية محاربة العنف المجتمعي:

لا تقتصر مسؤولية محاربة العنف المجتمعي بأشكاله المتعددة أو الحد منه على جهة معينة دون أخرى، بل هي مسؤولية عامة يتحملها المجتمع أفرادا ومؤسسات، كل في موقعه، وحسب طبيعة اختصاصه واهتماماته، فكلنا مسؤول، وكما قال (ص): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

أشكال العنف المجتمعي:

تتعدد أشكال العنف في المجتمع الأردني كسائر المجتمعات الإنسانية الأخرى، وتتفاوت آثاره من شكل إلى آخر تبعا للعوامل التي تؤثر فيه، ويمكن أن نحصر أشكال العنف المجتمعي في المجتمع الأردني بالآتي :

١- العنف الأسري (العنف ضد المرأة والطفل).

٢- العنف في المدارس(عنف المدرس والطالب).

٣- العنف العشائري.

٤- العنف الجامعي.

٥- العنف ضد الموظف العام (المدني والأمني).

آثار العنف المجتمعي:

تتنوع الآثار الناجمة عن ممارسة مختلف أشكال العنف من حيث الإيذاء فمنها :

١- الإيذاء الجسدي: الذي ينتج عن الاعتداء الجسدي على الأفراد ويترك آثارا واضحة على الجسد مثل : الضرب، والخنق. والشد، وإحداث الكسور والجروح والحروق. والحبس، والحرمان من الماء والطعام والنوم والمأوى، والقتل ..



٢- الإيذاء النفسي: الذي ينتج عن الاعتداء الذي يترك آثارا نفسية على الفرد المُعتدى عليه: بالتهديد، والتخويف، والإيذاء اللفظي، وتشويه السمعة، والتشكيل، والاهانة، والشتم، والتحقير..

٣- الإيذاء الجنسي: الذي ينتج عن الاتصال الجنسي، والاغتصاب، والتحرش الجنسي، والاجبار على البغاء، ومشاهدة الجنس..

٤- الإيذاء الاقتصادي: الذي ينتج عن الاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة وتخريبها، والاعتداء على المال العام، والاحتيال، وهدر مقدرات الدولة.

أسباب العنف المجتمعي:

تتعدد وتتنوع الأسباب التي تؤدي إلى العنف المجتمعي، ويمكن أن نجملها في أربعة أسباب رئيسية : اقتصادي، واجتماعي، وقانوني، وإعلامي، وسنتناول تاليا هذه الأسباب بشيء من التفصيل مع تقديم مقترحات حلول لها.

أولا: الأسباب الاقتصادية

١- إفرازات الفقر والبطالة الناجمة عن الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي تعيشها شرائح واسعة من المجتمع الأردني بسبب محدودية الموارد الوطنية، والسياسات الاقتصادية المتبعة التي كانت سببا من أسباب ارتفاع المديونية، وخلق أزمات جديدة، زادت من الآثار السلبية على مجمل الاقتصاد الوطني الأردني، بالإضافة إلى تأثُّر الأردن بما يجرى من أحداث وأزمات في دول الجوار، وتأثير الأزمة الاقتصادية العالمية.

٢- زيادة الأعباء الحكومية الناجمة عن التدفق الهائل للاجئين إلى الأراضي الأردنية. وعدم تحمل المجتمع الدولي مسؤولياته الإنسانية تجاههم بشكل مناسب.

٣- تدني مستوى الدخل الشهري للغالبية العظمى من الأردنيين مقارنة مع متطلبات الحياة اليومية.

٤- الشعور بعدم المساواة، وانتشار الواسطة والمحسوبية.

الحلول المقترحة

١- الإسراع في تنفيذ مشاريع المدن التنموية.

٢- فتح آفاق جديدة للاستثمار في مناطق الجذب الاستثماري، وتوفير الظروف المناسبة في المناطق غير الجاذبة.

٣- توجيه القطاع الأهلي والخاص للمساهمة في تحقيق التنمية من خلال مشاركته في فتح استثمارات جديدة واستقطاب الكفاءات والعمالة الوطنية.

٤- تشديد عقوبات الجرائم الاقتصادية، خاصة المتعلقة بالاعتداء على المال العام، والاحتيال، وهدر مقدرات الدولة.

٥- التوسع في فتح مراكز تدريب لتأهيل الأيدي العاملة الوطنية في مختلف المجالات.

٦- النظر في إمكانية إنشاء صندوق وطني للمعونة الوطنية، بتمويل من المؤسسات الاقتصادية الأهلية والخاصة الأردنية.

٧- تسهيل أسس وإجراءات الحصول على القروض الصغيرة أو التمويل من قبل المؤسسات الحكومية المتخصصة بهدف تمكين الشباب الفقراء العاطلين عن العمل من البدء بمشاريع صغيرة مثل (صندوق التنمية والتشغيل، وصندوق تنمية أموال الأيتام. مؤسسة الإقراض الزراعي .... الخ).

٨- تسهيل البنوك الأردنية عمليات منح فئة الشباب قروضاً ميسرة، وبنسبة فائدة منخفضة وبضمانات سداد ميسرة.

٩- إعادة النظر في رواتب موظفي الدولة، والمتقاعدين المدنيين والعسكريين، بحيث تتناسب ومعدلات التضخم الاقتصادي، ومتطلبات الحياة اليومية، وتوجيه مؤسسات القطاع الأهلي والقطاع الخاص في هذا الاتجاه.

١٠- محاربة الواسطة والمحسوبية، وتطبيق القوانين والأنظمة بشكل دقيق خاصة في مجالات التوظيف، وعدالة تقديم الخدمات للمواطنين.

١١- الضغط على المجتمع الدولي لتحمل مسؤولياته الإنسانية تجاه ما يعانيه الأردن من ضغوطات في كافة المجالات، نتيجة للتدفق الهائل للاجئين، لتقديم العون والمساعدة. ليتمكن الأردن من توفير متطلبات هؤلاء اللاجئين وبما لا يؤثر على احتياجات ومتطلبات المواطن الأردني.

الأسباب الاجتماعية

١- ضعف الوعي المجتمعي، والالتزام بالقيم المجتمعية، وتغييب الوازع الديني لدى فئات من أفراد المجتمع.

٢- ضعف الدور التربوي لبعض الأسر الأردنية، والمؤسسات الاجتماعية في تربية الأبناء. الأمر الذي أدى إلى تدني مستوى الوعي والحس الوطني لديهم.

٣- إخفاق نسبي للسياسات التربوية في بعض المدارس بتعزيز وتنمية الروح الوطنية لدى الطلبة، وتراجع دور مدير المدرسة والمعلم في بناء الأجيال وتوجيهها.

٤- ضعف دور الجامعات في الرقابة على سلوكيات الطلبة، وتغذية السلوك الإيجابي لديهم.

٥- تبني بعض الجهات غير المسؤولة قضايا المتسببين بالعنف، والدفاع عنهم تحت حجج واعتبارات غير واقعية ومنطقية.

٦- الشعور بغياب العدالة وعدم الرضا في آليات التوظيف.

الحلول المقترحة

١- نشر الوعي المجتمعي بخطورة ثقافة العنف وعدميتها والمصير المجهول الذي تقود المجتمع نحوه، وترسيخ القيم الإسلامية والفضائل المجتمعية الداعية إلى التعاون والتراحم والتسامح والحوار.

٢- تعميق الوعي، ورفع مستوى المعرفة من خلال الاهتمام بإقامة الندوات، وورش العمل، والمحاضرات، والأعمال الفنية والخطب، والدروس، والبرامج الإعلامية التوعوية الموجه للأسرة والأبناء والشباب، لتنشئتهم تنشئة صالحة.

٣- تضمين المناهج الدراسية في المرحلتين الأساسية والثانوية فصولا متخصصة تتناول مخاطر العنف المجتمعي وآثاره السلبية على الطلبة والمجتمع والدولة، وطرق الوقاية منه، وترسيخ ثقافة الوئام والتسامح في المباحث المختلفة ذات العلاقة مثل (التربية الوطنية، واللغة العربية، والثقافة الإسلامية... الخ).

٤- إخضاع المعلمين والمرشدين الاجتماعيين لدورات تدريبية في مهارات الاتصال، وبرامج تجعلهم قادرين على تعزيز مفاهيم التعددية الثقافية، والوسطية، والاعتدال، وثقافة الحوار، وغرس روح المواطنة الصالحة لدى الطلبة.

٥- تنفيذ برامج محددة للحد من تسرب الطلاب، لما له من انعكاس سلبي على نمو الطلاب

الذهني والبدني، وتفاقم ظاهرة الأمية ووقوع الطلاب ضحايا الاستغلال بمختلف جوانبه.

٦- إيجاد نظام تأديبي موحد لجميع الجامعات يكون له صفة الإلزام، وعدم التهاون في تطبيقه، من حيث تطبيق العقوبات المشددة على كل من يتسبب أو يتورط في العنف، ويخل بالعملية التعليمية.

٧- تفعيل دور عمادات شؤون الطلبة في الجامعات، في عملية التواصل الدائم مع الطلبة، وتوجيههم، وتقديم النصح والإرشاد لهم.

٨- تفعيل دور الأمن الجامعي في الجامعات، وزيادة أعدادهم، واختيار ذوي الكفاءة، وإعادة النظر بالتشريعات الناظمة لعمل الأمن الجامعي.

٩- تطوير أساليب التعليم، والعمل على إشغال وقت فراغ الطلبة بما يسهم في رفع سويتهم العلمية ووعيهم المجتمعي.

١٠- تضمين المتطلبات الأكاديمية الإجبارية لطلبة الجامعات على مفاهيم: الحوار مع الآخرين، وقيم التسامح، واحترام منجزات الوطن.

١١- تعزيز دور الإعلام الجامعي، وتكريس دوره في التوعية والإرشاد، والتوجيه نحو أهمية الارتقاء بالمسلكيات الطلابية بما يتفق مع الأعراف الأكاديمية.

١٢- تركيب أجهزة كشف بالأشعة على أبواب الجامعات، وإلزام الطلبة بالمرور من خلالها، إضافة إلى تركيب كاميرات مراقبة داخل الحرم الجامعي، موزعة على أبواب الكليات، والساحات الرئيسية ومداخلها ومخارجها، بحيث يكون هذا الإجراء وسيلة لردع الطلبة قبل ارتكابهم الفعل الجرمي، ووسيلة إثبات ضد من قام بالفعل الجرمي.

١٣- التطبيق الصارم للقوانين والأنظمة ضد كل من يتسبب بالعنف، وإلزام ذوي العلاقة بعدم الالتفات إلى أولئك الذين يتدخلون للدفاع عنهم.

١٤- اعتماد ثقافة مؤسسية لجميع الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة، تنبذ وتجرم الواسطة والمحسوبية، والمزاجية والاستهتار، واللامبالاة، وإيجاد آلية عمل لتنظيم ذلك.

١٥- تفعيل تطبيق قانون الأسلحة والذخائر، ومتابعة كافة الجهات المعنية، واتخاذ الإجراءات الرادعة بحق المخالفين.

١٦- اتخاذ الإجراءات المناسبة من قبل الأجهزة الأمنية بحق مساندي متلقي الخدمة الذين يعتدون على الموظف العام، ويتجاوزون القانون، وعدم التساهل أو المجاملة معهم.

١٧- تشديد العقوبات بحق من يتدخل من أفراد الأجهزة الأمنية، وموظفي الدولة في القضايا العشائرية إذا ثبت أنه طرف فيها، وذلك حفاظا على هيبة وحيادية الدولة في تعاملها مع أفراد المجتمع.

١٨- التأكيد على مبدأ الشفافية والعدالة والجدارة من خلال تطبيق آلية واضحة للرقابة والمحاسبة الرسمية المباشرة لضبط الواسطة والمحسوبية في التعيينات على اختلاف مستوياتها في كافة المناصب السيادية في الدولة.

الأسباب القانونية

١- ضعف الثقافة القانونية لدى المواطنين وعدم التقيد بها.

٢- قصور بعض النصوص القانونية المرتبطة بالعنف والجرائم بشكل عام.

٣- بطء إجراءات التقاضي لدى المحاكم.



الحلول المقترحة

١- تضمين المناهج التعليمية في المدارس، والمتطلبات الأكاديمية لطلبة الجامعات مواد تتناول القانون، خاصة تلك التي تتعلق بالأمن المجتمعي، بهدف تعريفهم بمخاطر العنف والعقوبات المترتبة على افتعاله والمشاركة فيه.

٢- إقامة فعاليات وأنشطة، وإعداد برامج توعوية موجهة لمختلف شرائح المجتمع ذات صبغة قانونية بهدف التوعية بمخاطر العنف ونتائجه السلبية.

٣- إدخال التعديلات على التشريعات الجزائية بتجريم أعمال العنف بكافة أشكاله. وتشديد العقوبات عليها.

٤- تفعيل تنفيذ عقوبة الإعدام في قضايا القتل التي اكتسبت الدرجة القطعية، حيث تأكد أن وقف عقوبة الإعدام في قضايا القتل التي اكتسبت الدرجة القطعية ينجم عنها مضاعفات عشائرية خطيرة تساهم في زيادة معدلات الجريمة في المجتمع.

٥- تعديل قانون أصول المحاكمات الجزائية، بحيث يساهم في تسريع الإجراءات القضائية.

الأسباب الإعلامية

١- ما تنشره الفضائيات من أفلام العنف الموجهة للأسرة والتي تؤثر سلبا على سلوكهم.

٢- مساهمة بعض المواقع الإعلامية في تضخيم الأمور، وعدم الدقة والموضوعية في نقل الحدث.

٣- الدور السلبي لبعض المواقع الإلكترونية الذي يثير الفتنة، ويؤجج مشاعر المواطنين.



الحلول المقترحة

١ بث البرامج والخطب والمحاضرات التوعوية الهادفة، التي تؤكد على دور الأسرة في التنشئة الوطنية للأبناء، وتعزيز القيم الإيجابية، وسلوك التسامح واحترام الآخر، والترابط الاجتماعي في المجتمع.

٢- التأكيد على الإعلاميين بنقل المعلومة بموضوعية ودقة، والقيام بالدور المنوط بهم، في تعظيم منجزات الدولة، وممارسة الدور الرقابي على الحكومة ومؤسسات الدولة المختلفة، ومؤسسات المجتمع المدني، وبيان الإنجازات والإخفاقات في السياسات، والإعلان عنها بطرق سليمة وبشكل شفاف.

٣ التطبيق الفاعل لقانون الجرائم الإلكترونية، وأنظمة المعلومات الأردنية لسنة (٢٠١٠)، وإجراء التعديلات اللازمة عليه، ليفي بمتطلبات الضوابط المهنية والتنظيمية والقانونية لعمل المواقع الإلكترونية، وخاصة الأخبار، والمواد المتعلقة بجرائم العنف، وما تنشره من تعليقات تؤدي إلى مضاعفة تفوق الحدث نفسه، وتحديد الجهات المسؤولة عن ذلك، والإعلان عنها.





الخوري طانيوس ضرغام

شاعر الشرق الكبير للبيت الهاشمي الكبير

سامر العبادي☆

إن سيرة الملك عبدالله الأول طيب الله ثراه ليست سيرة سياسية فحسب، بل في ثناياها سيرة لأديب وسياسي، ومفكر، ومؤرخ، عاصر زمنه بصلابة مؤمناً بمشروعه ورؤيته ذلك أن مكانة الأسرة الهاشمية في أفئدة الكثيرين من العرب منحتهم حق القيادة والزعامة المستندة إلى مشروعيتهم المتعززة بانتمائها للرسول (صلى الله عليه وسلم)، التي تواكبت مع الثورة العربية الكبرى التي حمل عبء قيادتها الشريف حسين بن علي عام ١٩١٦م بهدف تحرير العرب من «الهم التتريكي» الذي أثقل صدورهم بحملهم للتنازل عن عروبتهم.

☆ طالب دراسات عليا.

وقد كانت للصحوة العربية القادمة من الحجاز والمعانقة سورية أن حققت حلماً كبيراً لطالما تطلع العرب إليه، وهو الدولة العربية الموحدة، الخالصة بعروبتها، والتي عبرت عنها المملكة العربية السورية (١٩١٨م – ١٩٢٠م) التي امتدت على مساحة سورية الكبرى بمختلف أقاليمها (سورية، لبنان، فلسطين، والأردن) وكم احتفلت شرفات بيروت ودمشق وحلب وطرابلس وغيرها من الحواضر العربية المشرقية بالعلم الشريفي.

ولكن الاستعمار الفرنسي الإنجليزي، لم يشأ لتلك المملكة الدوام فدخل جنده من البحر ومن البر معلنين في ميسلون (٢٤ تموز ١٩٢٠م) انتهاء أصدق الأحلام العروبية بل وأجزلها تعبيراً في سيرة العرب المعاصرة، وغير مبالغ إن قلت إنه منذ سقوط الأندلس لم تتحقق للعرب دولة كتلك المملكة الشريفية التي يشابه غروبها، تلك اللحظة التي صدح بها الشاعر معلناً انتهاء وصول الحلم بقوله:

جادك الغيث إذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلا حلماً

في الكرى أو خلسة المختلس

إن هذه الأندلس الأخرى، الضائعة، بقيت في أفئدة عرب المشرق حلماً سنامه الهاشميون، الذين حملوا الهم العربي بصبر السياسة وإدراك الحال العربي الذي يخرج لتوه من غفوته، ويواصل الهاشميون تطلعهم إلى حلم العروبة، فقدوم الأمير عبدالله إلى عمان التي احتضنت آنذاك القوميين، ورجالات العرب ممن طالتهم أحكام الإعدام الصادرة من السلطات الفرنسية، فوصلها في نيسان ١٩٢١م معلناً أن «الحق يعلو»، وعمان التي رفعت أقواس النصر مقدمة منذ تلك اللحظة نفسها للعالم بأنه حاضرة المشرق العربي تواصل العهد، على تطلعها لأمتها بالنهوض يوماً وكأنها المرابطة على الثغور، العازمة على الحلم، الأمينة على التاريخ، القابضة على جمر التطلع إلى حلم كبير بحجم العروبة.

والأمير عبدالله (آنذاك) هو الأديب الذي يدرك معنى المشاعر العربية في أفئدة المثقفين والأدباء، وحتى الحالمين، فهو الرجل الموسوعي الذي استطاع أن يكون محوراً بين السياسيين والأدباء ورجالات الدين وشيوخ العشائر، وحتى الناس البسطاء، مسخراً تلك المنظومة من العلاقات لخدمة العروبة وآمالها مدركاً دور الهاشميين كسدنة للعروبة والتحرر، والتطلع لبناء الإنسان ذاك أنهم سليلو تلك الخصال الطيبة الممتدة عبر الزمان.

ومن بين أوائل الصحف التي ظهرت مع نشوء الإمارة صحيفة الأردن، تأسست في

حيفا عام ١٩٢٣م ثم رحل بها صاحبها خليل نصر إلى عمان في حزيران ١٩٢٧م، لتواصل صدورها في كنف الإمارة، والأردن الصحيفة وعلى قلة أعدادها توثيقاً في مكتبة الجامعة الأردنية، وعدم توفرها في أي من دور أرشيفنا الوطنية، إلا أن هذه الأعداد القليلة تبقى لها أهمية كبيرة كمصدر لدراسة تاريخنا الوطني في عهد الإمارة، بكافة وجوهه السياسية والاجتماعية والأدبية، وكأنها شجرةٌ معرفيةٌ تحكي وريقاتها كثيراً من صور الماضي الأردني، الغني بالحضور العروبي المشرق الذي يعز نظيره في تاريخنا العروبي الواسع والممتد والمتأتي من فكر الأمير الذي وهب إمارة شرقي الأردني ذلك الزخم الذي لا زال يدعو إلى الألفة والانسجام.

ومن بين أوراق تلك الأعداد يطل شاعرنا الذي عشق الأردن قيادةً وشعباً وتراباً ورؤيةً، إنه الشاعر الخوري يوسف بن ضرغام صالح ضرغام (الملقب بطانيوس) والمولود عام ١٨٨٤م في بلدة عبرين التابعة لمدينة البترون اللبنانية، تبعد ٦٠ كم عن بيروت شمالاً و٣٤ كم عن طرابلس جنوباً، تعلم في مدرسة مار يوحنا مارون، ودرس علم اللاهوت، وإضافة لإتقانه العربية كان على علم باللغة السريانية والفرنسية.

وصاحبنا شاعرٌ، ولغوي، وهو مرجعٌ وجليس للشعراء والكتاب، وسِيم كاهناً عام ١٩١٢م لرعيته، وواصل حياته معلماً للغة العربية في لبنان في مدارس منها: مدرسة الأخوة المريمين ومدرسة آل العلم في داريا، ثم انتقل إلى مدارس فلسطين وشرقي الأردن وعمل في كنائسها ومدارسها.

وما يلفت النظر في هذا الشاعر حسب ما اطلعت عليه، أنه لا يوجد أي دراسة تناولته بالبحث، ولا حتى الكشف الأكاديمي عنه على رغم دوره ومكانته في السيرة الأدبية في عهد الإمارة، وسجال كلماته وجزالة شعره المنسوج بتعابير جعلت من المغفور له سمو الأمير عبدالله بن الحسين أن ينعته بـ «شاعر الشرق الكبير للبيت الهاشمي الكبير»، وذلك كما تشير صحيفة الأردن في عددها المؤرخ في ٨ تشرين الأول عام ١٩٣٠م، والعدد نفسه يشير إلى أن شاعرنا تولى منصب مدير المدرسة الوطنية في عمان.

أما عن أشهر قصائده تلك التي وصف بها حنينه وشوقه للأردن قصيدة «تحية للشرق» نظمها بعد غياب دام ثلاثة أشهر، يقول فيها:

إيه أمير الشرق ما
في الشرق إلا مخلصون

عرب أشاوس من نصارى
في البلاد ومسلمين

عدوا القلوب على هواك
مدلهين ومولهين

قتل الحنين نفوسهم

والنفس يقتلها الحنين

يسترقبون لقاء الأمير

مُكبريـن مهلليـن

هذه القصيدة التي تناول فيها الضرغام أجزل التعابير التي تحكي سجايا سمو الأمير؛ فبقدر ما كان شاعراً بقدر ما كان محباً للإمارة وأميرها، ليرفدها وهي في مهدها كلمات حب وكأنها قطافٌ من نسيم الأرْز تستودع حباً في صفحات ماضيها وحاضرها وأيامها القادمات، لتبقى تحكي على مر الأجيال وفاءً لوطنٍ بادله الضرغام حباً بحب.

وتشرف شاعر الشرق الكبير للبيت الهاشمي الكبير بلقاء سمو الأمير في قصر رغدان العامر في نيسان من عام ١٩٣٠م، وتشير صحيفة الأردن إلى ارتجاله أبياتاً خالدة في الحضرة الأميرية، عبر فيها عن قداسة المكان الذي بقي على مر الأجيال رمزاً للأردنيين والعرب ويجمعهم على الوفاء، فيقول في رغدان وسيده:

هذا الحمى يا فتى لبنان فاتئد

وطأطئ الرأس إجلالاً ولا تزد

أما الجلال (فرغدان) أنت له جسد

وأنت منه مكان الرأس من جسد

رأس له شمم البيت العتيق

وما في البيت مرتفع من عزه الأبد

وفي القصيدة أمنيات بالسلم الذي يعيشه الأردن حيث يتغنى بذلك الشاعر الكبير بقوله:

أي وطن الأسود نعمت بالاً

فلم تزل الأسود ولن تزالا

ويا علم الأعارب قدك فخراً

فخفف من تيهك والدلالا

هو إلى ركن الممالك وهو باق

يميل معظم هيبته اختيالا

حماه بنو الحسين من العوادي

فلم ينل العدى منه منالاً

ومن حبه الصميم للبيت الهاشمي فإن الضرغام حاكى محاسن المغفور له سمو الأمير طلال (وهو ولي عهد الإمارة آنذاك) بقصيدة تحاكي محاسن سموه:

سـألت أزهر الربيع

عن تربه في بهاه

والقطر عند الهموع

عن تربه في سخاه

والبدر عند الطلوع

عن ضوء في سماه

والجفن عند الهجوع

عن طيف من يهواه

فعبق الزهر بشيراً

وقال تربي (طلال)

واستضحك القطر ثغراً

وقال ذا لي مثال

واستشهد البدر زهراً

وقال ذا لي كمال

واستأنس الجفن بشراً

برب كل جمال

وشاعرنا العابق بإحساس نسيم الأرز، والراحل إلينا من بلاد امتدت حباً على مر الزمان كامتداد الجيرة والمكان، وكأنه وقف شعره على حب هذه الأرض بجميع تفصيلاتها من قيادة تنتمي لشرف النسب، وشعب يملك خلاصة العروبة وطباعها ليحيلنا إلى أروع قصائده والمسماة بالنشيد الأردني، والمنشورة في ٩ تموز ١٩٣٠ م، وهي وكأنها لوحة امتزجت فيها السبال الطيبة وأبياتها هي:

أي حماة البلاد بالسيوف الطوال

مرحباً بالجهاد إن قضيتم رجال

في سبيل الدفاع تحت ظل السيوف

حين تدح والحتوف وينادي الشجاع

دمي للعرب

نحن أهل القصور نحن أهل الخيم

سادة في الصدور سادة في الكرم

قادة في الخطوب عيسوي أحمدي

شرفنا نفتدي يوم تصلى الحروب

بدم القلب

قد نشأنا أسودا في عرين الجدود

بمكان مصون قد أبي أن يهون

في حماة القصور عاليات الجدار

في سماء البدور رافعات الفخار

راية العرب

أصبايا الهضاب وظباء الوهاد

زغردي للشباب صفقي للبلاد

وأسرجي وانعمي في المشرق الأعصم

وابشري بالجديد واكتبي للعميد

عن ذكاء العرب

انشروا للعلوم راية لا ترام

من بيتها نجوم من بيتها كرام

قد تساموا مقام للمعالي خطير

تحت ظل الأمير انها لا تضام

أمة العرب

ويبدو أن شاعرنا الملقب بالضرغام قد تمتع بعلاقات طيبة مع شعراء الإمارة وتفاعل أدبياً معهم فأنتج لوحات من الزمن

العروبي الخالص بالحب، فجريدة الأردن وعلى صفحتها الأولى بتاريخ ٢٠/آب/١٩٣٠م، تنشر قصيدتين تعانق بعضهما بعضاً الأولى لصاحبنا وعنوانها «الشعر العربي في سمو الأمير العربي» وأبياتها:

أي أمير الشرق زدنا شغفا
لا تخف أن يحرق القلب هواكا
وأنا قـــدر أن أحرقه أي قلب
لم يكن يومـــاً فداكا
أيها البدر ولا أحسبني مخطئاً
كم من نجوم في سماكا
شيم عز ومجد باذخ
ومزايا لم نجدها في سواكا
أنها نعم حلي المرء وهل
لتأتي الدنيا حلي مثل حلاكا

فهذه القصيدة المنظومة في جبل (لبنان) احتضنتها قصيدة من (جبال) السلط لحسني فريز عنوانها : يزهدنا في حسن لبنان حسنه، ومطلعها:

سلي عن رياض السلط إن كنت لم تدري
وان كتبت روض الحسن كوكبه الدري
تعالي إليها بعد أن هب الصبا
وذرت عليها بالندى بسمة الفجر

إن شاعرنا الضرغام هو شاعر استحق بجدارة لقب الملك الشهيد المؤسس حينما نعته «شاعر الشرق الكبير للبيت الهاشمي الكبير» لنحته حروفاً حفظتها لنا أوراق جريدة الأردن، لنتطلع إلى بدايات الحياة الأدبية في إمارة شرقي الأردن ونبحث في ذلك المكنون العروبي الذي غرسه الملك المؤسس طيب الله ثراه، لتكون هذه الغراس اليوم شامخةً وشاهدة على مسيرة وطن بايعه حباً أبناؤه، وأوفياء العروبة الصادقون ممن أمنوا بالمشروع الهاشمي الكبير، ومما يجدر الإشارة إليه أن شاعرنا الكبير وافته المنية عام ١٩٦٩ م عن عمر ناهز الخمسة والستين عاماً.

المراجـــع

١- أعداد جريدة الأردن المحفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية.

٢- معجم البابطين للشعراء العرب.

٣- عبرين اليوم ، صحيفة الكترونية.



أبعاد الرؤية في رواية «العربيزي والجدة وردة»

فوزي الخطبا[☆]

اللغة في أية حضارة أو أمة صوتها وهويتها ومصدر عظمتها ومكمن قوتها، واعتزازها، ومنبع عبقريتها، ونبضها المستمر، والشرايين المتدفقة، والينابيع المتفجرة، والرؤيا الممتدة، والعقل المتفكر، والقلب الحافظ، والمعمار العالي، والجوهر الغالي، والذاكرة الحية.

أما لغة الضاد التي شرفها الله عز وجل بين لغات العالم، والتي ختم بها الكتب والشرائع الإلهية، بهذه اللغة المتفردة وهذه دلالة تشريف وتكريم وعلو منزلة لهذه اللغة تتكشف لنا عن مدى عبقريتها، ومضامينها العميقة، واشتقاقاتها الغنية، ووجوهها المتعددة، وبلاغتها الفذة وبيانها الأخاذ، وتشبيهاتها البليغة، وموسيقاها المتدفقة، ونحوها وصرفها المنضبط بأدق الموازيين.

☆ رئيس قسم النشاط الثقافي/وزارة التربية والتعليم.

اللغة في العصر الجاهلي لغة الوجد والوجدان، ولغة المعلقات والمطولات، التي كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة. وعندما تشرفنا بحمل الرسالة والأمانة كانت لغة التنزيل والكتاب المحكم، والمعجزة الخالدة، وعندما أشرقت شمس حضارتنا على المعمورة، كنا قادة العالم وأساتذة البشرية، تباهى وزها بلغتنا الآخر، بأنه تعلم وأتقن وتكلم بلغتنا وردها مع لغته الأم وما حضارة بغداد والأندلس عنا ببعيد.

إن اللغة العربية بما تحمل من شبكة علاقات مذهلة، وإيحاءات ودلالات فنية عالية حافظت على أصالتها وبنائها وديمومتها على مر الزمان والمكان، لقد كرمها الله عز وجل بحفظها في الدنيا والآخرة فهي لغة الجنة، ولغة المؤمنين جميعا منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة، فهل أعظم وأكرم وأنبل من هذا التكريم؟

ولعل هذه المقدمة تفضي إلى رسالة إلى أدباء وكتاب العربية، أن يعمقوا الإحساس بحب لغة الضاد وللمتكلمين فيها والتعلق بمفاتنها والزهو بها عامة وإلى الناشئة العربية خاصة، فهم معقل الرجاء، ومحط الآمال والنافذة المشرعة للمستقبل، وقادة الأمة.

ومن الأعمال الإبداعية التي صدرت حديثا عن الدار العربية للعلوم ناشرون في بيروت رواية للكاتبة والأديبة الأردنية منى الشرفي تيم «العربيزي والجدة وردة» وهي رواية موجهة للأطفال والناشئة العربية وتقع في ١٥٩ صفحة من الحجم المتوسط، والغلاف ورسوم الرواية ملونة بريشة الفنانة المبدعة ناديا جارودي، والورق مصقول، والصور داخل الرواية تعبر عن مضمون الرواية بدقة و إتقان ومهارة وتفنن، ويصاحب الرواية «سي دي» صوت وصورة، صوت ينوب رقة وحنانا وصفاء وعفوية وأعدت المربية الأستاذة شروق شاهين معجم دلالات لهذه الرواية.

جاءت هذه الرواية لتعمق الإحساس والانتماء في قلوب الناشئة لهذه اللغة الشريفة، وتكشف الكاتبة عن إحساسها وحبها ومسؤوليتها الكبيرة، اتجاه لغتنا وأطفالنا في روايتها بقولها: (لم يكن يخطر في بالي يوما باعتباري كاتبة أن أخوض في مجال أدب الأطفال ولكن لأن الأدب هو لحظة إلهام قد تحمل بين طياتها رسالة إنسانية فكرية يترجمها الأديب إلى عمل إبداعي سلس يعالج واقعا بعينه وينجح حين يزاوجه بروح الحلم والخيال.

وكم كنت محظوظة حين حصلت على هذا الإلهام من خلال مشاركاتي في لقاءات إطلاق حملة بالعربي التي أقيمت في شهر شباط عام ٢٠١٢ بتنظيم من مؤسسة الفكر العربي في مشروعها الإسهام في تطوير تعلم

وتعليم اللغة العربية (عربي٢١) الذي يهدف إلى التشجيع على القراءة باللغة العربية عند الأطفال والناشئة العرب. بالإضافة على تشجيع الكتاب ودور النشر للاهتمام بالفئات العمرية الصغيرة، وصناعة الكتاب الجيد.

بعد الانتهاء من لقاءت حملة بالعربي التي أضاءت قصورا كبيرا على عدم توفر الكتب العربية الجيدة الهادفة والمشوقة للأطفال والناشئة، وجدت نفسي في مواجهة مع مسؤولياتي وواجباتي كأديبة وكاتبة تجاه مستقبل لغتنا وأبنائنا فخضت بسعادة عارمة غمار هذه التجربة الرائعة التي نتجت عنها روايتي بعنوان العربيزي والجدة وردة التي تحمل صرخة صادقة مغلفة بكثير من الخيال والتشويق والإثارة والفائدة...).

إن الكاتبة محقة في ما أفضت إليه أن أطفالنا بحاجة إلى مسؤولية ورعاية وتوجيه وتعزيز بفكر نير، وأسلوب مبسط محبب إلى القلب والنفس دون الدخول في دوائر الوعظ والإرشاد الصارم أو الأمر أو الصوت العالي، إنهم يريدون منا أن نكون لهم أصدقاء لا أوصياء، نعرف أحاسيسهم ونقدر مواهبهم ونعزز مواقفهم ونبرز طاقاتهم ونعرف طبائعهم وندخل عوالمهم وفضاءاتهم وحدائقهم ونتعطر من فواح وردهم ونسائمهم، ونخرجهم من دائرة الظل إلى دائرة الشمس، ومن ذاكرة الإهمال والنسيان، إلى آفاق النور، نثري إدراكهم بحكمة، ونرقي وجدانهم بالكلمة الطيبة المؤثرة الهادفة، ونرفد تجربتهم بالأعمال الراقية التي لها رسالة وهدف ومضمون وبعد عميق.

لقد جاءت رواية الأديبة مي تيم تحمل هذه المضامين والأبعاد والرؤى وكأنها تقول إذا أردنا أن نصنع أمة عظيمة، علينا أن نربي الأجيال العربية تربية هادفة وبنّاءة، نقدم لهم كل ما هو مفيد ونافع من الرعاية والتربية والتعليم والبرامج والنشاطات والمناهج الدراسية الدنيا والعليا والأعمال الترفيهية ذات المضمون الراقي، ونعدهم للمستقبل إعدادا سليما روحيا وجسديا وفكريا وذوقيا عندئذٍ سنكون في مصاف الدول المتقدمة، ونعيد مجد حضارتنا العربية الإسلامية.

تدور أحداث الرواية حول الطفل سامر كما تصفه الروائية بأنه ((ولد متوسط الطول، يميل إلى البدانة، بسبب اعتماد نظامه الغذائي على الوجبات السريعة، شعره مشعث طويل، يخفي مساحة كبيرة من وجهه الممتلئ، ويرتدي الثياب الواسعة، وسروال الجينز المنخفض الذي يكاد أن يسقط عن خصره. عمرة اثنا عشر عاما. وهو في الصف السابع، إنهولد ذكي جدا، ولكنه يكره الدراسة والمدرسة، وخصوصا صف اللغة العربية. وكل

ما يرتبط بها، بالإضافة إلى أنه لا يحب أن يقوم بأي مجهود جسدي، فهو يقضي وقته في غرفته ولا يخرج منها إلا عند الضرورة، في خلال أيام الأسبوع. أما في عطلة نهاية الأسبوع، فيذهب إلى قاعات السينما مع أصدقائه، لمشاهدة فيلم جديد، أو لممارسة لعبة من الألعاب الالكترونية المتوافرة بكثرة في المراكز التجارية)).

وتحدث المفاجأة أنه خرج من صفحات كتابه فتاة رائعة الجمال، أضاءت المكان بجمالها ونورها وهدوئها وثقافتها، وعرّفت على نفسها أنها سارة عمرها إحدى عشرة سنة وهي في الصف السادس، تعيش في جزيرة الحياة بين أهلها وأصدقائها والطبيعة الساحرة، جاءت لتخرج سامر من عزلته، وتعيد تشكيل حياته من جديد، وتضيء معالم حياته، وتعده للمستقبل الزاهر، وتكشف له عن جماليات اللغة العربية وبيانها الأخاذ، وأن يكون للإنسان في الحياة رسالة وغاية وهدف، وبدأ سامر يتغير وينجز واجباته المدرسية، من تلقاء نفسه ويشارك أهله الحديث، ويحب اللغة العربية خاصة بعد أن دعته سارة إلى جزيرة الحياة الجزيرة المتخيلة المزروعة بالحقول المعطاءة وقلوب أهلها تنبض بالخير، يعشقون اللغة العربية روحا وجسدا، وليتعرف على أهلها الطيبين، وحدائقها الغناء وعلى جدتها وردة شيخة الجزيرة صاحبة الحكايا المشهورة والمشوقة. حكاياتها المسكونة بالوجد والوجدان والشوق والحزن والشقاء والعذاب والفراق واللقاء والإثارة والفرح، فهي ذاكرة الجزيرة وصاحبة الخبرة والدراية والرواية في أشجان وشجون الحياة، تضيء القلوب وتفتح الآفاق بكنوز الحكمة من صندوق حكاياتها. النابضة بالأمل المفعمة بالحياة المسافرة نحو المستقبل الزاهر، المسكونة بالقيم والأعراف الأصيلة. الواعدة بأطيب الثمرات الحافلة بالأهداف النبيلة.

جاءت حكايات الجدة وردة من عطر تراب الأرض، ونوار الربيع، ولون السنابل وصفاء القلب ونقاء السريرة، ومن ضنى وشقاء القلب في ضيقه وابتهاج القلب في تحقيق الأمنيات، حكايات الجدة وردة الصوت الذي يرتفع عند الصمت، وبيان الحقيقة في زمن الضياع، يلتف حولها أهل الجزيرة كاشتياق أرض البوار إلى قطرات السماء وكحب المريد إلى شيخه، والعابد في عبادته والمتبتل في محرابه.

وبمهارة الكاتبة المتفوقة تختم الروائية روايتها على لسان الجدة وردة بمخاطبة الأجيال والناشئة العربية، علينا أن نجمع بين الأصالة والمعاصرة، وأن نحافظ على هويتنا وأن نفتح آفاقنا إلى المكتسبات والتقنيات الحديثة، وأن نتمسك بقيمنا المضيئة. وأن

ننفتح على الآخرين بما لديهم من معرفة وتقنية وتقدم وتطور، وأن نعتز بحضارتنا ولغتنا، هذه هي الجدة وردة كما صورتها الأديبة بروايتها.

الرواية منذ فصولها الأولى إلى نهايتها تسير في خطين متوازيين الخط الأول المخيلة الخيالية الخصبة المتدفقة، الخط الثاني الواقع المعاش المر الصعب الذي تعيشه الناشئة العربية من المحيط الهادي إلى الخليج الهادر.

لقد استطاعت الكاتبة أن تكتب روايتها بقلم الفنان المتفنن وبأسلوب الأديب المتيقظ، وبروح وموقف الإنسان الملتزم بقضايا وطنه، لأنها تؤمن بأن للمبدع الحقيقي رسالة وغاية وهدفا وموقفا في الحياة، وأن يكون في الصفوف المتقدمة من قضايا أمته الكبيرة والمصيرية.

يضيء الجوانب المضيئة، ويعري الجوانب المظلمة ومهما يكن الثمن والمخاطرة، ولا ينظر إلى القضايا من باب الربح والخسارة، فكيف إذا كانت القضية تتعلق بمستقبل أطفالنا ولغتنا ومستقبلنا وهويتنا؟

لقد نسجت الروائية هذا العمل برؤية الحالم المتخيل وأمانيه العذبة المشتهاة، ليكون على أرض الواقع حقيقة، وهذه فكرة أصحاب الأقلام الملتزمة يتمنون وينشدون الخير والجمال للإنسانية، وكشفت عن حقيقة الواقع بما فيه من حقائق ومعطيات وتناقضات، أسطرت الواقع وخلقت واقعا متخيلا، وزاوجت بين الواقعين بمهارة ودقة وإتقان، ورسمت لوحات فنية أخاذة، بلغة تمور بالحركة والحياة والحيوية تثير مخيلة المتلقي، وتقنعه بواقعية الأحداث ومصداقيته.

لقد كانت موفقة في انتقالاتها ومشاهدها وصورها، وكأنك تعيش الأحداث حدثا حدثا وتشارك فيها وتحس بإحساس شخوصها بلحمهم ودمهم، ويأسرك الحلم في فضائه وجماله وسحره وهذه سمة الأعمال الإبداعية المتفوقة.

لقد وظفت الكاتبة اللغة الفصيحة المحببة إلى النفس التي تدخل إلى القلب دون استئذان، تسير مع حروفها وتنبض مع كلماتها وتضيء عتمة القلوب بمعانيها العميقة ودلالاتها المتقنة. إن مكتبة الطفل العربي بحاجة إلى مثل هذه النوعية من الأعمال الإبداعية الملتزمة بقضايا الأرض والإنسان والهوية، ولو لي من الأمر من شيء لجعلت هذا العمل مقررا لطلبة الناشئة العربية مقررا إضافيا للمطالعة الذاتية بما يحمل من مضامين عميقة وفنية عالية.

فرقة الصهيل الفلسطينية

كوثر حمزة[☆]

المقطع الأول

يحلم زعيم فرقة الصهيل الفلسطينية ناصر قواسمي بقطف حبات العنب من أرض بلاده ليذوق طعمها بعد أن نسيه في المنفى وقد أخذ على نفسه عهدا ألا يذوقها إلا من شجر فلسطين حين نعود.

عائدون يا وطن

رغم طول الزمن

☆ كاتبة من الأردن.



ذلك الحلم وغيره من الأحلام دفعت قواسمي إلى أن يؤسس فرقة غناء وطني شعبي ثوري أصيلة تقدم الكلمة واللحن والصوت النابع من وجع القضية ويصب في قلوب اللاجئين.

رغم أنه لاحصر لوجوه المعاناة التي فرختها نكبة ١٩٤٨ إلا أن فرقة الصهيل استطاعت أن تغني للعناوين الكبيرة التي تذوب معها كل العناوين الأخرى، لحق العودة، للأسير، ليوم الأرض، للكوفية، للحرية، للوطن دون تجزئة أو فزلكة غنت الصهيل لما يجول في قلب كل لاجئ خلال ٢٧ حفلا منذ ولادتها في ٢٠١٢.

مكانها أرض نادي الجليل بمخيم إربد. وتذكرك بالأغاني الثورية الأولى.

ألحانها صرخات صبرا وشاتيلا وقانا وغزة وحيفا ويافا وعكا والقدس والخليل والجليل والرملة وطولكرم وبيت لحم، تلك التي تبدو حاضرة في ذاكرة جيل النكبة في المخيمات وجيل الخيبة في الشتات، ويبدو الأمل دائما رفيق ذلك الصهيل الرجولي الذي تشمر معه الزنود الحامية والقلوب المشتاقة.

مهما تطول يا هالليل

وترمينا من ميل لميل ..

عشاق الأرض نحنا

ما نعرف المستحيل

هاض هو..صوت الصهيل

سمراء بلون الليل، وردة بيضا ونقية تلك الكوفية التي تعلو قلوب شباب فرقة الصهيل بلباسهم الفدائي وأرواحهم الغضة وأصواتهم الأصيلة، كالخيول العربية التي تمنى الواحد أن يراها بهذه الحرية والانطلاق والصهيل في زمن الإسمنت والسياسة والخوف.

«منذ زمن لم نسمع هذا الشذى الثوري، الوطني، الشعبي» هكذا قلت وقال كثيرون حين سمعنا الصهيل لأول مرة.

غربتان تعيشها فرقة الصهيل، غربة عن الوطن وغربة أخرى في اللجوء، فأما الأولى فللكلمة واللحن أن يقاوما رياح النسيان وما باليد حيلة، أما الغربة الأخرى وهي نسيان هذه الفرقة من ضوء الإعلام أو من اهتمام وزارة الثقافة والمؤسسات الثقافية التابعة لها وتركها تصهل وحيدة في صحراء قاحلة سوى من محبيها البسطاء ..فهذه الغربة يراها ناصر قواسمي قائد فرقة الكورال في نادي الأيتام بنادي الجليل تعود إلى تغييب عام بين جميع أطياف الأمة العربية ثقافيا فهي غيبوبة مشتركة ولنا أن نصهل منفردين.

ناسيين لا مش ناسيين

وحياة تراب فلسطين

بتروح وبتيجي سنين

محفورة بقلب العاشقين

كأن الكلام قل ودل، فناصر قواسمي يعزف بما ينزف، فبالإضافة لكتابة الشعر بفرادة «كما لا يحب أن يعترف» يكتب كلمات أغاني الفرقة ويلحنها على وقع دقات قلبه كما يوحي له المخيم الذي عاش فيه لا بل عاشا في بعضهما حتى خيم الواحد منهما على الآخر.

المقطع الثاني

١٩٧٨ كان زمنا مرا ..في المخيم

كتب ناصر قصة، تأثر يوسف شحادة مدرس اللغة العربية بما كتبه ناصر ... ذلك الطفل «الفلتة».

قال المدرس لزملائه إن هذا الولد سوف يؤثر في الأدب العربي ...

يقول ناصر «كان عرابي..فبدأت أكتب ...أي شيء ..أكتب فقط..»

١٩٨٣/٨/٥ ناصر الطفل بعث بقصة إلى صحيفة الدستور ...

ونسي ..

ناصر يشتري بتعريفة حلاوة من بائع متجول ..ويلفها البائع بجريدة ...

هذا اسم ناصر قواسمي موجود في صفحات الجريدة ..تلك القصة نفسها ...كم أحب اسمه ..وطار إلى البيت ..

ضربه والده ...بدل أن يهنئه ....(والبقية عند كل من عاش تلك الفترة في مخيمات اللجوء).

ذلك زمن مر.. بطعم الحلاوة ..

فقد ولد الصهيل في داخله، وبدأ العالم يتسع والخيمة ترتفع، وناصر قواسمي يؤمن بشكل مطلق أن حدوده تبدأ بالفاء وتنتهي بالنون ...

لماذا نتحدث عن ناصر قواسمي كثيرا بدل أن نزين ذات الأسماء والوجوه الثقافية في الصحف، ونعتمد التزييف أحيانا، لأن ناصر قواسمي حقيقي في عطائه الفني، وتجربة موجودة بما تقدم والمقياس هو أنا، الجمهور الذي بحاجة إلى الصدق وأسماء جديدة بعطر عتيق..

لا وقت للغد لدى ناصر قواسمي فبعد أن ينتهي من عمله سائق باص، يحل مساء فرقة الصهيل لتطرز بصوتها غصة تلك الحدود التي يعيش من أجلها

«لا شيء يبح صوت الصهيل»..

بل لا شيء يمنع الفلسطيني من المقاومة بأي شكل كان...بالكلمة واللحن... بالصهيل..

المقطع الثالث

مقاومة أخرى تخوضها حناجر فرقة الصهيل معبرة عن شجن الغريب في الغربة، كرت المؤن، رائحة الأرض وذكريات كل من طرد من الجنة وكل من رضعها مع حليب أمه حتى تمثلت له حية تنزف.

غنا جميعا دون أن يختلف فلسطيني وآخر على جذره يصهل محمد درويش، أحمد قواسمي، حمزة قواسمي ، إدريس حرب، فراس الطيطي، محمد حرب، إيهاب قواسمي، عماد عساف، مأمون أبو شتية ...شباب الفرقة أو عنادلها.. ..والمايسترو ناصر قواسمي، تجدهم في نادي الجليل البيت الذي دعاهم له رئيس النادي سعيد عجاوي وأمين السر وائل درباس،.ليكونوا ضمن برنامج النادي الثقافي.

شباب بعمر الورد، لم ينسوا..

شباب الصهيل جيل تفتح من تراب المخيمات، نمت قلوبهم على حب فلسطين في

كل ما هو حولهم..فكيف لا يصهلون باسمها في نضجهم..

ريعهم الوحيد من الفرقة هو لا شيء ...لكن مستمرون في الصهيل، مستمرون في المقاومة.

ماذا تريد فلسطين منا..؟ طرح ناصر قواسمي هذا السؤال الضخم حين تراهن مع مجموعة من المثقفين الفلسطينيين كانوا يبحثون مشروع إقامة متحف للتراث الفلسطيني، وكأني أراه، ناصر قواسمي يبتسم ويقول ماهكذا تريد منا أمُّنا ...بل العود وفرقة الصهيل.

واستطاعت الصهيل أن تعلو على جمود المتحف لتحرك مشاعر الفلسطينيين.

بالعود انطلق قواسمي وحيدا مع بعض الشباب يجتمعون في داره ليبدأوا الصهيل، وكما في البدايات الأولى يبدأ الهمس واللمس على هذه الفرقة حتى جهرت بصوتها في أول حفل لها في مخيم إربد بحضور كبير عطش.

الرسالة بسيطة ...قاوم بأي شكل ..بالبندقية، بالكلمة، باللحن، بالصلاة، بالدعاء ..

قاوم النسيان.

هكذا يحلق راعي الحمام في سماء الكلمة البسيطة واللحن الشعبي والحزن الجماعي ليفوق كثيراً من التنهيدات الغنائية الأخرى التي اتخذت من الحداثة ولغة الأدب لحنا لها فكانت لجمهور محدد .. أما الصهيل فجمهورها الفلسطيني كيفما كان ...ليكون.

طاق طاق طاقية

بدنا دولة وحرية

يحاول ناصر قواسمي الاقتراب دائما من التراث الشعبي الفلسطيني في مفرداته وألحانه التي تألفها الأذن، لأنه ابن هذه البيئة أولا ولأن الصهيل رسالة مقاومة محو التراث الفلسطيني فهي تذكر به.

غريب ما يقوله قواسمي من أن الأغنية الفلسطينية الشعبية أكثر عطاء مما يقدمه الأدب، حيث يرى أن الأولى فن معطاء يخدم الجماعة ويعبر عنها على عكس الأدب الذي يعبر بعضه عن شعور الكاتب وأحداث حوله، ورغم أن الأدب يفوق شهرة الصهيل فذلك يراه قواسمي عائدا إلى معيار الدعم الذي تفتقر إليه الصهيل فتظل محدودة.

بدهشة يجتمع أطفال مخيم إربد حول مائدة الصهيل الغنائية في نادي الجليل بعد أن وصلهم الصوت من البعيد، فينشغلون حينا وحينا يصغون بصمت وبراءة لهذا الكلام

الكبير الذي يدفعهم للتفكير والتساؤل.. يقول قواسمي «أحد أهداف فرقة الصهيل الفلسطينية أن يعرف الطفل أبسط مفردات قضيته في حربنا ضد النسيان...»

من ذاكرة المخيم، كَرّم الهبيلة كما يسمونه إنسان بسيط يساعد أهل المخيم بلا مقابل، حالته رثة وقلبة أبيض ...هذه هي الشخصية الوحيدة التي أثرت بناصر قواسمي أكثر من أي فيلسوف أو كاتب أو ملحن..

من ذاكرة القضية، تحرر أسرى كثر مقابل شاليط، فرحٌ في كل مكان، الوحيدة التي غنت للأسير الذي بقي في السجن كانت فرقة الصهيل ..

يا عيد لا تنساني

محبوس بين قضباني

المقطع الرابع

كلمات وألحان: ناصر قواسمي

غناء: محمد درويش الصوت المبكي في الفرقة ...

لعيونك وطني سأغني

ويغني العالم من لحني

لجنين أغني وللقدس

من حزني أغني ومن يأسي

يا صرخة طفل في المنفى

يا وجع الشاطئ في حيفا

قسما يا وطني لأغني

ويغني العالم من لحني

يا وطني أغني لحصارك

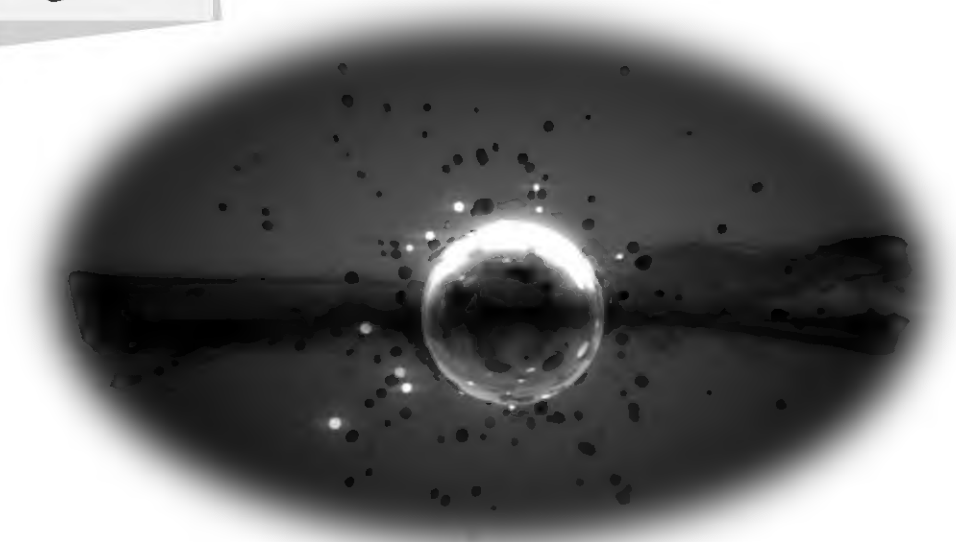
لكرومك، بحرك، أسوارك

وأغني لطفل في الحارة

لم يرهبه صوت الغارة

المقطع الخامس

تصفيق



مرايا الحلم وبذار الخيال

رمزي الغزوي*

ما أعمق الحب!، وما أخلده في أذن الزمان، وفيه. فببساطة يمكن لقصة حب عابرة أن تُحيي معها كماً هائلاً من القصص، التي تغيب عن مخيال الكاتب، أو المخرج السينمائي، أو الناس بشكل عام. ويمكن لقصة حب سريعة، أن تنتشل باخرة شُطرت نصفين من قعر المحيط. وتجعلنا نتخبط في بارد الماء، كركابها المستغيثين عند برزخ الموت، أو الحياة.

يعجبني أن أعود لأفلام أحببتها فأشاهدها مرة أخرى بتمعن، تماماً كعودتي لكتب قرأتها أكثر من مرة. ولكني في عودتي لتايتنك هذه المرة تركت التحديق في سريع ماء، عند مقدمة الباخرة، وتجاوزت عن ملاحقة الدلافين المرحة، التي تسابقنا بعنفوان، ونزلت مباشرة إلى الذين لم يستحقوا من المخرج، إلا لحظة خاطفة: العمال.

* قاص وصحفي أردني.